الفصل الثاني
الملكة اليانور
والحملة الصليبية الثانية

- سقوط إمارة الرها وأهم نتائجه.
- دور الملكة اليانور في الإعداد للحملة.
- دور القديس برنارد في الدعوة للحملة.
- دور الملك لويس السابع في الإعداد للحملة.
- اجتماع ايتامب Etampes.
- رحيل الفرنسيين من مينز إلى القسطنطينية.
  وموقف الإمبراطور مانويل كومنين منهم.
- الفرنسيون في اسيا الصغرى
- رحيل القوات الفرنسية إلى أنطاكية.
- فشل الحملة الصليبية ورحيلها عن الأراضي المقدسة.

الفصل الثاني
الملكة اليانور والحملة الصليبية الثانية

سقوط إمارة الرها وأهم نتائجه :

بعد انتهاء كل من لويس السابع واليانور من أداء الطقوس الدينية في كنيسة القديس دنيس Saint Denis وتوقيع معاهدة السلام مع ثيوبولود من شامبين Theobald of Champagne جهزوا للاحتفال بعيد الميلاد عام 1145م في مدينة بورج Bourges حيث قاموا باستدعاء أتباعهم لمشاركتهم هذه المناسبة الدينية، خاصة وأن هناك حدث جلل قد هز العالم الأوربي في هذه الفترة وهو سقوط إمارة الرها الصليبية على يد عماد الدين زنكي[1] عام 539هـ/1144م، في الوقت الذي كان فيه حاكمها الكونت جوسلين الثاني متغيبا عنها حيث كان يحتفل بعيد الميلاد في مدينة تل باشر على ضفاف نهر الفرات.

والثابت تاريخيا أن جوسلين الثاني حاكم إمارة الرها كان في الفترة الأخيرة قد انغمس في الملذات والتمتع بمظاهر الترف وكان يؤثر الراحة، حتى أنه لم يلتفت إلى تحرك المجاهد المسلم عماد الدين زنكي (541-521هـ/1127-1146م) الذي نجح في ضم حلب والموصل والشام تحت رايته[2]، وأراد أن يوجه ضربته صوب إمارة الرها، التي أحاط بها المسلمون من كل ناحية، وقد فصلها نهر الفرات عن بقية الممتلكات الصليبية في الشام كانت الأحوال الداخلية في إمارة الرها مشجعة لعماد الدين زنكي لمهاجمتها، خاصة وأن حاكمها جوسلين الثاني كان قد دخل في صراع سياسي مع ريموند الثاني حاكم أنطاكية[3] مما هيأ السبيل أمام زنكي لمواجهة أمارة كل منهما على حده[4].

---

(1) عماد الدين زنكي: هو ابن قسيم الدولة آقسنقر، ولد عام 1084م (447هـ)، كان عمره عشر سنوات عندما قتل والده، وكانت تبدو عليه علامات النجابة الشجاعة، التف حوله مماليك أبيه وكانوا عددا كبيرا منهم الأمير زين الدين علي كوجك بن بكتكين، ودخل في خدمة حكام الموصل، كربوغا، موسى التركماني، شمس الدولة جكرمش، جاولي، مودود، آقسنقر البرقسي. وفي عام 1122م (516هـ).
أرسل آقسنقر البرسقي عماد الدين إلى شحنكيه واسط والبصرة، ثم قربه السلطان محمود واستدعاه إلى بغداد وجعله من أقرب مستشاريه، وأرسله لتأديب العرب الثائرين في البصرة ونجح في مهمته. وفي عام 1125م (519هـ) ولاه السلطان محمود أمر العراق وقام بعمله خير قيام. وتولى حكم الموصل عام 1127م (521هـ)، وضم حلب عام 1128م (522هـ)، وفتح الرها عام 1144م (539هـ)، وقتل عام 1146م (541هـ) انظر:
ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة، 1957)، ج1، ص28-30.

(2) Meade, Eleanor, P. 68, Kelly, Eleanor, P. 29.

(3) أنطاكية: تعتبر أنطاكية قصبة إقليم عواصم الشام وحاضرته تحدها حلب من جهة الشرق والبحر المتوسط غربا وتحتل سهلا طويلا ثلاثة أميال يتمثل في جبل اللوكام شرقا ونهر الأورنت غربا. سقطت في يد الصليبيين في الحملة الصليبية الأولى وحكمها بوهمند النورماني وظلت في أيدي الصليبيين حتى نجح الظاهر بيبرس في الاستيلاء عليها عام 1268م/666هـ. عنه انظر:
حسين محمد عطية: أمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، الاسكندرية، 1989م، ص103-109.

(4) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، الطبعة الثالثة، ج2، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1975، ص466-467.
كانت الإمارتان الشماليتان الرها وأنطاكية في غالبية الأحيان متنازعتين ولكن جهود الملك بلدوين الثاني 1118-1131م ملك بيت المقدس شجعت باستمرار على توحيدهما في إطار المصلحة، أما خليفته الملك فولك فلم يستطع بسط نفوذه على أمراء الشمال وعندما توفي وتولى بعده ابنه بلدوين الثالث العرش تحت وصاية أمه ميلزاند ضعفت

ولعل العداء بين الأمارتين جعل حاكميها لا يهتمان بأمر تحصين حدود إمارتهما مما سهل الأمر أمام عماد الدين زنكي في إحكام الحصار على الرها وأخيرا نجح في إسقاط المدينة وذلك يوم السبت الموافق السادس والعشرين من جمادى الآخر عام 539هـ الموافق الثالث والعشرين من ديسمبر عام 1140م بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما[1] .

أما القلعة فسقطت بعد يومين[2].

كان لسقوط الرها في أيدي المسلمين أثر كبير على الإمارات الصليبية في الشرق، وكذلك على جميع الطوائف المسيحية الشرقية خاصة الأرمن، حتى أن الأنظار توجهت إلى الغرب المسيحي لطلب النجدة. أثار استنجاد الصليبيين في الشرق بالبابوية سنة 540هـ/1145م فكرة الشروع في إعداد حملة صليبية ثانية تتوجه لإنقاذ الأراضي المقدسة فقد شعروا أن الأمور لا تسير في اتجاهها الصحيح هناك، خاصة وأن عماد الدين زنكي لم يكن لديه النية للتوقف والاكتفاء بإمارة الرها وإنما كان ينوي الاستيلاء على أنطاكية التي ضعف موقفها بعد سقوط الرها بالإضافة إلى أن مملكة بيت المقدس الصليبية كانت تحت حكم صبي قاصر وهو بلدوين الثالث[3] Baldwin III(1143-1163م) وأمه ميلزاند Melisende الوصية عليه والتي لم تقدم شيئا للرها سوى إرسال نجدة وصلت بعد فوات الأوان وسقوط المدينة[4].

ذاع خبر استرداد المسلمين لإمارة الرها في كافة أنحاء الغرب الأوربي فقيل إن الأتراك اكتسحوا الشرق كله دون أن يجدوا من يصدهم[5]، غير أن الأجل لم يمهل زنكي حتى يستكمل فتح بقية إمارة الرها فلم تمر سوى سنة وتسعة أشهر تقريبا حتى قتل زنكي في أوائل ربيع الآخر سنة 541هـ/منتصف سبتمبر عام 1146م أثناء حصاره لقلعة جعبر التابعة لبني عقيل[6].

الفرصة للسيطرة على هاتين الإمارتين مما أدى إلى ازدياد العداء بينهم. عن ذلك انظر: علية الجنزوري: أمارة الرها الصليبية، القاهرة، 1986، ص294

(1) عن سقوط الرها في يد الزنكيين انظر:
ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 1983، ص436، الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، مصر، 1900، ص186، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، حلب، ج2، ص279، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ج1، ص94.

Setton, Hisory of the crusades, Vol. 1, P. 461.

(2) علية الجنزوري: امارة الرها، ص305.

(3) أجمع المؤرخون الصليبيون على دماثة خلق الملك بلدوين الثالث وكرمه واحترامه للكنيسة ورجالها. ثم إن بلدوين الثالث امتازبصفة ميزته عن ملوك بيت المقدس السابقين، وكانت لها أهميتها في نظر معاصريه من الصليبيين، هي أنه أول ملك من ملوك بيت المقدس يولد على أرض المملكة الصليبية نفسها، فهو يمثل في شخصه الابن الحقيقي البكر لمملكة بيت المقدس الصليبية. هذا كله بالإضافة إلى ثقافته الواسعة، إذ جمع بين آداب الفروسية الغربية وقواعده وبين معرفة القانون وأصول المعاملات، الأمر الذي جعل منه ملكا صليبيا نموذجيا في القرن الثاني عشر. لمزيد من التفاصيل انظر:
سعيد عاشور: الحركة الصليبية،ج2، ص645.

(4) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طلمبات (القاهرة، 1993م)، ص466-467، سعيد عاشور: الحركة الصليبية،ج2، ص606، فشر (هـ. أ. ل): تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة د. مصطفى زيادة، د. السيد الباز العريني، الطبعة الرابعة، (القاهرة، 1966م)، ص78.

(5) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة د. حسن حبشي، ج3، القاهرة، 1994م، ص267.

(6) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ج1، ص73، ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص98.

ولم تكد أخبار زنكي تصل إلى الصليبيين حتى تحرك جوسلين الثاني من تل باشر بعد أن جمع حوله جيشا من الصليبيين وتقدم ناحية الرها ليستردها بعد أن تأكد من مساندة مسيحيي الرها خاصة الأرمن له فتقدم إليها وتمكن مع جيشه مع اقتحام المدينة واستردها عام 541هـ/1146م[1].

وتشير المصادر على أن جوسلين تمكن من المدينة، لذلك وصلت الأخبار إلى نور الدين محمود[2] بن زنكي الذي أصبح حاكما على حلب، فتحرك مسرعا لاستعادة هذه الإمارة التي تعب أبوه من حصارها مما أدى إلى لجوء جوسلين الثاني إلى أحد أبراج المدينة، ومعه عشرين ألفا مع أصحابه واستطاع نور الدين أن يقاتل كل من بالرها "وسرت النفوس بهذا النصر بعد الحزن والانخذال وقويت القلوب بعد الفشل والانخذال"[3] وبهذا استرد المسلمون الرها وعادت إليهم دون رجعة إلى الصليبيين كان لضياع الرها وسقوطها للمرة الثانية في يد نور الدين محمود أن بدأت الدعوة لتجهيز حملة صليبية جديدة على الشرق وقد اختلف المؤرخون حول أول من دعا إليها هل كان البابا إيوجين الثالث[4] Eugene III أم الملك لويس السابع ملك فرنسا Louis VII فقد انقسم المؤرخون إلى قسمين: الأول يؤكد أن البابا إ يوجين هو الذي دعا إليها وذلك بإصدار المرسوم البابوي في الأول من ديسمبر عام 540هـ/11450م.

أما القسم الثاني من المؤرخين فيزعمون أن لويس السابع هو أول من دعا لهذه الحملة في الاجتماع الذي عقده في مدينة بورج Bourges في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1145م وأعقب ذلك إصدار البابا للمرسوم البابوي الخاص بالدعوة للحملة الصليبية[5].

---

(1) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص450.

(2) نور الدين محمود: ولد نور الدين محمود بن عماد الدين بن قسيم الدولة اقسنقر بن عبد الله بحلب في شوال سنة 511هـ/1117م، ونشأ على الخير والصلاح وقراءة القرآن والعبادة، وقلة المخالطة للجند وكان أبوه يقدمه على بقية أولاده، ويرى فيه مخايل النجابة. استلم حكم حلب سنة 541هـ/1146م بعد قتل والده ثم ملك دمشق سنة 549هـ/1154م، وهو مؤسس الدولة النورية الأتابكية في الشام ومصر وامتدت سلطته قبل وفاته إلى الموصل وديار بكر والجزيرة وجانب من اليمن. توفي سنة 569هـ/1174م ودفن بقلعة دمشق، ثم نقلت رفاته إلى المدرسة النورية الكبرى التي أنشأها عند باب الخواصين (سوقي الخياطين اليوم). انظر:
ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص161-162، قنية الشهابي: صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، (دمشق، 1998م)، ص252.

(3) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص450.

(4) أيوجين الثالث تولى البابوية من فبراير عام 1145م وحتى يوليو عام 1153م وكان مقدما على الرهبان السترشيان خارج روما،كما كان مسئولا عن دير القديس زينو Zeno في بيزا عام 1128م، أصبح مسئولا عن الدائرة الأسقفية في أواخر عام 1130م، وقابل برنارد أوف كلارفيكوس فوقع تحت سحر بلاغته والتحق به ليصبح راهبا في دير كلارفيكوس وبعد أن تم انتخابه لمنصب البابوية شجع على الحملة الصليبية الثانية وعمل على زيادة نفوذ الكنيسة وكلف بيرنارد بالدعوة للحملة الصليبية وسافر إلى فرنسا عام 1147م لمباركة جهود لويس السابع من أجل القيام بالحملة الصليبية الثانية وطلب مساعدة كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا ضد الثوار الرومان وتوفي عام 1153م. انظر:
Kelly: The Oxford Dicitionary of popes (Oxford 1988) PP. 172 – 173.

(5) Gleber (Dr – P – H): Papst Eugen III (1145 – 1153) (Jena 1936) PP 37-40
وانظر أيضا
Caspar E.,: Die Kreuzzugbnllen
Eugens III Neues, Archive, Vol. XIV. 1924 PP. 285 – 306.
أثبت كاسبار أن مرسوم البابا مؤرخ في أول ديسمبر عام 1145م قد دحض بذلك النظرية الفرنسية التي تعتبر الملك لويس السابع هو الذي دعا للحملة الصليبية الثانية.

ولعل الرأي الراجح هو أن البابا إيوجين هو أول من قام بالدعوة للحملة الصليبية وذلك لأنه أصدر المرسوم البابوي في الأول من ديسمبر عام 1145م قبل أن يعقد الملك لويس اجتماع بورج في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1145م.

وترجع تفاصيل هذه الأحداث إلى توالي وصول أخبار الهزائم التي منى بها الصليبيون في الأراضي المقدسة طوال عام 540هـ/1145م[1] حيث واصل الصليبيون بجميع فئاتهم مراسلة البابا إيوجين الثالث يطلبون منه المساعدة لإنقاذهم من الخطر الكبير الذي يهددهم، فقد أرسلت الملكة ميلزاند Melisend الوصية على مملكة بيت المقدس وكذلك الكونت ريموند دي بواتييه أمير أنطاكية يطلبان مساعدة البابا[2].

لم تتوقف مراسلات الصليبيين للبابا فقط، وإنما قام ريموند بمراسلة البلاط الفرنسي، وذلك بحكم الصلة العائلية، وعرض على الملك لويس السابع وزوجته إليانور بأخبار السلاجقة الأتراك، وما يقوم به البيت الزنكي ضد الصليبيين، وحاول التقرب منهما بإرساله هدايا قيمة وثمينة[3].

كان البابا ايوجين الثالث يقيم في مدينة فيتربو Viterbo التي تقع في جنوب إيطاليا عندوصول المبعوثين من الشرق وذلك بعد أن تم طرده من روما بعد الثورة التي اندلعت ضده بقيادة أرنولد البريشي Arnold of Breacia في عام 1145م عندما تشكلت حكومة في روما وتم طرد البابا منها[4] عندما اطلع البابا على أحوال الشرق وما يعانيه وسمع روايات مبعوثهم هيو Hugh أسقف جبلة رأى ضرورة الإسراع بإرسال حملة صليبية إلى الشرق لمساعدة الصليبيين وذلك رغم المشاكل التي كان يعاني منها وعدم قدرته على دخول روما ليدعو لهذه الحملة بنفسه كما فعل البابا أوربان الثاني في الحملة الصليبية الأولى[5].

رأى البابا إيوجين Eugene رغم صعوبة ظروفه أن الملك لويس السابع ملك فرنسا هو الشخص الرائد في أوربا والذي يمكن أن يعهد إليه بمهمة تجهيز الحملة إلى الشرق[6]، وذلك على الرغم من المشاكل التي كانت بينه وبين الكنيسة لأنه انغمس في بداية حكمه في النزوات بتأثير زوجته إليانور لكنه أعلن توبته وندمه خاصة على ما فعله في مدينة فيتري، وقرر أن يهتدي في كل الأمور بمستشارين من رجال الكنيسة[7].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 69. Kelly, Eleanor, P. 30. Owen, Eleanor, P. 21.

(2) مكسيموس مونروند: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة مكسيموس مظلوم، (القدس، 1865م)، ج2، ص31.
Meade, Eleanor, P. 69, Kelly, Eleanor, P. 30.
Ffiona, Eleanor, P. 35.
Perry (V. G.): "The second crusade" in Setton History of the crusade, Vol. II PP. 466 – 503.

(3) Meade, Eleanor, P. 69 – Kelly, Eleanor, P. 31.
يرتبط الأمير ريموند بالملكة اليانور بصلة وثيقة فهو عمها كما ذكرنا وهو يكبرها بثمانية أعوام فقط وعليه فقد تأثرت به تأثرا كبيرا لأنهما كانا في مرحلة عمرية متقاربة.

(4) ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، (موسكو 1981)، ص175.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص296.

(6) يرجع سبب اختيار البابا للملك لويس السابع الذي كان يبلغ آنذاك خمسة وعشرين عاما إلى أنه نذر القيام بحملة صليبية إلى الشرق كنوع من الندم والتوبة على ما اقترفت يداه في حق مدينة فيتري Vitry وهي المدينة الخشبية التي أضرم فيها النار أثناء صراعه مع كونت شامبني، وأحرق ما فيها من الأحياء وعددهم ألف نسمة سنة 536هـ/1141م. انظر:
Tout, The empire and the papacy, London, 1909, P. 284.

(7) Meade, Eleanor, P. 69 Kelly, Eleanor, P. 30. Dismond, Eleanor, P. 41.
ستيفن رانسيمان:تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة الباز العريني، ج2، بيروت، 1968م، ص398.

بعد إصدار البابا لمرسومه بعث إلى الأسقف جودفري أسقف لانجريوس Geoffrey of Longres ليتوجه إلى الملك لدعوته وكل المخلصين في مملكته لإنقاذ المسيحيين في الشرق.

وصل المندوب البابوي إلى مدينة بورج والتي كان لويس وزوجته إليانور يقضيان بها عيد الميلاد وتم عقد اجتماع في الخامس والعشرين في ديسمبر تحدث فيه جودفري لانجريوس عما تعرضت له الرها وادعاءاته عن العذاب و الاضطهاد الذي يعاني منه المسيحيون في الشرق وحث الجميع على الإسراع لإنقاذهم(1).

رغم استجابة لويس وإعلانه عن استعداده لحمل الصليب والتوجه إلى الأراضي المقدسة وذلك إرضاء للبابا إيوجين والتكفير عن أحداث فيتري وتحقيقا لرغبة أخيه والحج إلى الأراضي المقدسة وبرغم خطبة الأسقف لانجريوس المؤثرة والبليغة إلا أن الدعوة للحملة الصليبية قد استقبلها البارونات الفرنسيون باللامبالاة.

إن وصول المندوب البابوي ودعوته للحملة الصليبية قد فتح آفاقا جديدة أمام إليانور وقضى على شعور الملل الذي كان يمتلكها حيث أنها رأت أن الحملة الصليبية فرصة للهروب من حالتها هذه كما ستتيح لها فرصة للمغامرة ورؤية عمها ريموند في أنطاكية لكن البرود الذي استقبل به البارونات دعوة المندوب البابوي جعلها تشعر بخيبة الأمل ومع ذلك فقد لعبت دورا كبيرا في الدعوة لهذه الحملة وفي إقناع البارونات الجنوبيين للاشتراك في الحملة فقد كانت تعلم أن بعض البارونات يرون أن لويس السابع كان يتحرك لهذه الحملة رغبة في تطهير نفسه من الآثام(2).

لقد رأى العديد من البارونات الفرنسيين ألا يكونوا متهورين مثل آبائهم وأجدادهم الذين تعجلوا في سبيل الوصول إلى الأراضي المقدسة فقاموا برهن أراضيهم واندفعوا من أجل تحقيق مطامعهم حتى أنهم تذكروا حملة الدوق وليام التاسع دوق اكويتن والتي راح ضحيتها أكثر من سبعين ألف قتيل وانتهت بالفشل الذريع ليس بسبب تراجع الجنوبيين وحدهم ولكن بسبب فتور حماس الفرنجة الديني(3).

كان الراهب سوجير رئيس دير سانت دنيس Saint Denis أبرز الشخصيات التي لم توافق على التوجه إلى الشرق(4) قد رأى أنه ليس من الحكمة أن يترك الملك مملكته، والأفضل أن يبقى بها لأنه إذا غاب لمدة عام أو أكثر فسوف تنهار البلاد ويسود الاضطراب في أنحاء كثيرة وربما يموت أثناء الحملة الصليبية دون أن يترك وريثا ذكرا يخلفه على العرش(5)، لذلك ربما أرسل الملك لويس السابع إلى البابا إيوجين بعد اجتماع بورج يطلب منه المساعدة في إقناع سوجير وغيره

---

(1) مكسيموس مونروند، ج2، ص31.
Lavisse, Histoire de france, Tom 2, P. 11. Dismond, Eleanor, P. 41.

(2) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص295.
Archer (T.A.): The crusades, London, 1894, P. 210.
Meade, Eleanor, P. 69. Alison, Eleanor, PP. 47 – 48.

(3) Archer (T.A.): The crusades, P. 210
Alison, Eleanor, P. 48

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص295،

(5) Meade, Eleanor, P. 70 Kelly, Eleanor, P. 32.
Alisony Eleonary. 48 Ffiona Eleanor, P. 35.

ممن لم يوافقوا على قيامه بالحملة، الأمر الذي دفع البابا إلى تكليف القديس ببرنارد رئيس دير كليرفو بالدعوة للحملة الصليبية الثانية في فرنسا[1].

دور الملكة إليانور في الإعداد للحملة :

رغم معارضة الأب سوجيرا الشديدة على قيام لويس بالحملة الصليبية إلا أن إليانور من جانبها حاولت بشدة وعناد إبطال تأثيره السئ على لويس واستخدمت تأثيرها عليه بأفضل صورة.

نجحت إليانور في تحريك أتباعها من أهل أكوتين مستخدمة ألفاظا نارية لحثهم على إعادة نظرهم في القضية والاشتراك في الحملة الصليبية المرتقبة فهي إذا تمكنت من جميع سادة أكوتين حولها فسيفوق عددهم عدد أتباع لويس الفرنسيين وبذلك تصبح الحملة الصليبية مشروع مؤثر وفعال[2].

أثار اشتراك إليانور في الحملة الصليبية الثانية العديد من القصص والأساطير فذكر البعض أنه بعد أن حملت إليانور وغيرها من السيدات النبيلات الأخريات الصلبان من يد بيرنارد، تراجعن حيث قاموا بارتداء أحذية حمراء وستر بيضاء ووضعن الصلبان على صدورهن وركبن خيولا بيضاء وركضن على سفح التل في فيزلاي[3] يلوحن بالسيوف ويدفعن الجبناء ويحثهن على الاستجابة لأمر البابا والاشتراك في الحملة ويرموا المغازل للضعفاء الذين رفضوا الاشتراك في الحملة الصليبية.

رفض أكثر المؤرخين هذه الروايات واعتبروها ضربا من الأساطير[4] على أية حال فإن إليانور لعبت دورا فاعلا في الإعداد للحملة الصليبية فعلى الرغم من موافقة البابا ودعوة الأمراء على المشاركة في هذه الحملة لكن كان من الممكن أن تفشل لولا مساعدة ودعم عامة الناس حتى وجدنا أن إليانور قد عملت بلا كلل أو تعب للعمل على نجاح الحملة وذلك بإسهاماتها في تجنيد الجنود وجمع الأموال، فقد بدأت إليانور بعد عودتها مباشرة من مجمع فيزلاي في التوجه صوب أكوتين حيث بدأت تتجول بها رغبة في تجميع الفرسان وأصحاب القلاع واشتراكهم في الحملة كما جددت امتيازات خاصة تتمتع بها الأديرة مقابل دعمهم المادي للحملة.

ونتيجة لجهودها الكبيرة انضم إلى الجيش عدد كبير من أهل أكوتين من بينهم جيفري دي رانكون Geoffry de Rancon السيد الأعلى لقلعة تيلوبورج والتي قضى بها لويس وإليانور ليلة زفافهما كما اشترك أيضا في الحملة نتيجة لتأثير إليانور كل من هيولوزجنان Hugh of Lusignan وجاي ثوروس Guy of Thours رأى القديس بيرنارد جهود إليانور في الإعداد والدعوة للحملة ولم يعلن اعتراضه لأنه رأى أن جهودها تركزت على هدف ديني[5].

---

(1) Michaud (P): Histoire des croidades, Tom 1 Paris, 1849 , PP..417 - 418.
Brebier (L): Les croisades. Paris, 1928, P. 104.

(2) Meade, Eleanor, p.70, Kelly, Eleanor, P. 33.
FFiona, Eleanor, P. 35.

(3) فيزلاي: مدينة صغيرة في إقليم برجونيا Bourgone في جنوب شرق فرنسا. انظر:
Vasillev: Histoire De L'Empire Byzantine, Tom. 2, (Paris, 1932), P.59.

(4) Meade, Eleanor, P. 72.
Kelly, Eleanor, P. 35.
Alison, Eleanor, P. 50.
Owen, Eleanor, P. 22.

(5) Meade, Eleanor, P. 74.
Alison, Eleanor, P. 51.

عاشت إليانور طوال عام 541هـ/1146م في نشاط وحركة دائبين فكانت تسارع بالتجهيز والإعداد للحملة وحتى الأسابيع الأخيرة قبل بداية الحملة إلى الشرق كانت تستعد استعدادا شخصيا، كما عملت على توفير المؤن اللازمة لحملها معها طوال الرحلة، إلى جانب التجهيز لما يمكن أن يواجه أفراد الحملة من حوادث طارئة أو صعوبات[1].

ولعل ما أورده المؤرخون عن نوع الاستعداد الشخصي يوضح لنا طبيعة شخصية إليانور التي لم تنس أنها امرأة فتراها تجهز خزانات لحمل الملابس الخاصة بها ووضعت بها مجموعة كبيرة منها حتى يمكنها تبديل ما تشاء منها، وذلك حتى تظهر أمام الدولة البيزنطية الشرقية وبين نساء القسطنطينية بصورة جذابة توضح مستوى ملكة فرنسا وأنها لا تقل حضارة ومدنية عن نساء الشرق في القسطنطينية وأنطاكية ولم تنس أيضا حمل مجموعة قيمة من المجوهرات وأدوات التجميل التي تكمل هذه الصورة التي ترغب في الظهور بها إلى جانب الفراء الثمين لتجنب برودة الجو.

وللوقاية من الطقس السئ أحضرت إليانور معها مجموعة من الخيام، كما نقلت إليانور مجموعة من الأسرة المفروشة بأفخم المفارش لها ولجواريها، كما جلبت أيضا العديد من السجاد لتغطية الأراضي المبللة، كما كان هناك صناديق أخرى تحتوي على أدوات للمطبخ مناديل ومناشف حتى أن المؤرخين قرروا أن ما حملته منها من احتياجات شخصية فاق احتياج النساء النبيلات الأخريات اللاتي رافقنها طوال الحملة، امتلأت القوافل بالمستلزمات الشخصية للملكة إليانور بصورة كبيرة مما أدى إلى تذمر الصليبيين لأنهم اعتبروا ذلك متاعا من متاع الدنيا ويتنافى مع أهداف الحملة الصليبية، حتى أنها زادت عن ذلك بأن صحبت معها إلى جانب هؤلاء النسوة خادمات ليقمن بأعمال النظافة، مما زاد في الحمولة التي سنرى فيما بعد أثرها على القوافل وعلى تطورات الأحداث.

لقد سبحت إليانور في خيالها فقد توقعت أنها باشتراكها في الحملة الصليبية قد تخلصت من الروتين الممل الذي خيم على حياتها كما توقعت أن ترى خلال رحلتها إلى الشرق مشاهد جديدة وعجائب مستحيلة وذلك سيؤدي إلى انتعاش أحاسيسها ويبهر نفسها وهي التي عرفت بنزعتها الفنية الموروثة عن أبيها وجدها وجلست تنتظر وصولها إلى أنطاكية حتى تتقابل مع عمها ريموند وتسترجع معه ذكريات طفولتها حيث الضحك والمرح والأغاني والشعر[2].

Kelly, Eleanor, P. 36.

(1) Meade, Eleanor, P. 77 FFiona, Eleanor, P. 36.

(2) Meade, Eleanor, P. 78.

دور القديس برنارد في الدعوة للحملة الصليبية :

في الوقت الذي كانت إليانور تقوم بدورها هذا كان القديس برنارد يتحرك للدعوة للحملة الصليبية الثانية في فرنسا، بعد أن كلفه البابا إيوجين الثالث بذلك وتمثلت دعوته في حضور المجمع الذي عقد في فيزلاي Vezelay أواخر مارس عام 1146م للدعوة للحملة الصليبية.

احتشد الزائرون من جميع المدن الفرنسية في فيزلاي وذلك لرغبتهم في رؤيته وسماع القديس برنارد وهو يدعو للحملة الصليبية وقد عقد الاجتماع في مكان خارج المدينة، لأن الكنيسة لم تتسع للأعداد الغفيرة التي احتشدت في مكان الاجتماع[1].

حضر الملك لويس والقديس برنارد في الموعد المحدد للاجتماع، وصعد القديس برنارد إلى الكرسي الخشبي حتى يتمكن من رؤية الجموع المحتشدة، وليتمكن من الحديث إليهم من مكان مرتفع في الوقت الذي كان الملك لويس مرتديا الصليب الذي أرسله إليه البابا إيوجين الثالث[2].

وقف القديس برنارد وقرأ المرسوم البابوي الذي يدعو للحملة الصليبية كما ألقى خطبة مؤثرة في الجموع المحتشدة ونتيجة لتأثير برنارد نسى أتباع لويس عداوتهم وترددهم ورفضهم للمشاركة في الحملة وطلبوا من القديس برنارد أن يعطيهم صلبان وصاحوا قائلين "إلى القدس"[3].

عندما انتهى القديس برنارد من خطابه سلم الصليب إلى الملك لويس كما سلم الملكة إليانور أيضا صليبا ووزع صلبانا على الأتباع وعندما نفذت منه الصلبان اضطر إلى تمزيق ملابسه الخاصة وصنع منها صلبانا[4] لتوضع على صدور الجنود ونثرها على الجموع المحتشدة[5].

استجاب عدد كبير من النبلاء لنداء القديس برنارد منهم: روبرت Robert شقيق الملك لويس السابع، والفونسو جوردان Alfonso Gordan كونت تولوز ووليام كونت نافار وثيري كونت فلاندرز[6] Thiery of Flanders وعم الملك لويس الكونت أماديوس الثاني Amadeus II وهنري كونت ووريث كونتيه شامبني Henery of Champagne وأسقف لانجريوس والفسيوس Alvisus وأسقف أراس Aras وأرنولف Arnulf أسقف ليزبييه Lisieux إضافة إلى أعداد أخرى من البسطاء من الناس وأعداد من النساء النبيلات فلم تكن إليانور هي المرأة الوحيدة التي حملت الصليب من القديس برنارد، فمن بين النساء اللاتي حملن الصليب سيبيل من فلاندرز Sybille of Flanders فايدد من تولوز Faydide of Toulouse ثوركويري من بولون Torgueri of Bouillon وفلورين من برجنديا Florine of Burgundy. إضافة إلى زوجات وبنات السادة العظام الآخرين الذين حذوا حذو الملكة[7].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 70 – 71. Kelly, Eleonor, P. 33. Owen, Eleanor, P. 21. Alison, Eleanor, P. 49.
رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص294.

(2) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص297.
Meade, Eleanor, P. 71. Kelly, Eleanor, P. 33.

(3) Meade, Eleanor, P. 71 Kelly, Eleanor, P. 34 Alison, Eleanor, P. 49.

(4) Perry, The second crusade, P. 469/ Meadia, Eleanor, P. 72.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص297، مكسيموس، تاريخ الحروب المقدسة، ج2، ص37.
Meade, Eleanor, P. 71. Kelly, Eleanor, P. 35.

(6) الفلاندرز: منطقة واسعة تمتد في فرنسا وبلجيكا على بحر الشمال بين مرتفعات أرتو ومصب نهر اسكو. انظر: قتيبة الشهابي: صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، دمشق، 1998م، ص31.

(7) Meade, Eleanor, P. 72 Kelly, Eleanor, P. 35.
Alison, Eleanor, P. 50 Owen, Eleanor, P. 22. Ffiona, Eleanor, P. 36.

استجاب لدعوة برنارد أعداد لا حصر لها حتى كادت المدن والقلاع تكون خالية من السكان[1]، وكتب برنارد إلى البابا إيوجين الثالث يخبره بهذا الأمر قائلا: "أنت أمرت وأنا أطعت، وسلطة من أعطى الأمر جعلت طاعتي مثمرة فتحت فمي وتكلمت وعلى الفور تضاعفت أعداد الصليبيين إلى ما لا نهاية القرى والمدن الآن مهجورة، ستجد بالكاد رجلا واحدا لكل سبع نساء، وفي كل مكان، ترى أرامل لا يزال أزواجهن على قيد الحياة"[2].

لم تقتصر الدعوة للحملة الصليبية على فرنسا فقط بل أرسل القديس برنارد رسائل إلى الألمان يدعوهم إلى الاشتراك في الحملة الصليبية[3]، ولكن عندما لم تأت هذه الرسائل بأي نتيجة اضطر القديس برنارد إلى التوجه بنفسه إلى ألمانيا في أكتوبر عام 541هـ/1146م وذلك لاستمالة الألمان والإمبراطور كونراد الثالث Conrad III للاشتراك في الحملة الصليبية لكن الإمبراطور الألماني رفض الاستجابة لدعوة القديس برنارد[4]، وذلك بسبب الاضطرابات والحروب الأهلية التي كانت تسود ألمانيا[5] إضافة إلى تدهور الحالة الاقتصادية، وانتشار المجاعات في كافة أرجائها[6]، كما يرجع رفض كونراد أيضا إلى خوفه من أن تتأثر علاقاته مع القسطنطينية باشتراكه في الحملة الصليبية[7][8].

بذل القديس برنارد جهدا كبيرا في إقناع الإمبراطور الألماني الذي ما لبث أن وافق على الاشتراك في الحملة[9]، بل وصل الأمر إلى تطلعه إلى تولي قيادتها دون لويس السابع[10] هذا بالإضافة إلى رغبة كونراد في التخلص من الوضع الاقتصادي المنهار الذي كانت تعاني منه ألمانيا

---

(1) مكسيموس: تاريخ الحروب المقدسة، ج2، ص37
Perry, The second crusade, P. 472, Meade, Eleanor, P. 75.

(2) راسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص295, .Meade, Eleanor, P. 75

(3) Meade, Eleanor, P. 75. Kelly, Eleanor, P. 35.

(4) Alison, Eleanor, P. 51.

(5) كانت ظروف ألمانيا الداخلية سيئة بسبب الحروب الأهلية التي نشبت بين كونراد الثالث ولوثر الثاني السكسوني (1125-1138م) لأن كونراد عاد من فلسطين عند وفاة هنري الخامس (1106-1125م) ليتولى حكم ألمانيا ولكنه وجد لوثر قد تسلم الحكم في 13 سبتمبر عام 1125م، مما أدى إلى نشوب الحرب الأهلية بين الجانبين بعد وفاة لوثر الثاني لأنه أوصى بالحكم بعده إلى هنري المتكبر Henry the proud دوق بافاريا وزوج ابنته ريشانز Richez ولكن الألمان اختاروا كونراد الثالث ملكا لألمانيا في 7 مارس عام 1138م مما أدى إلى تجدد النزاع وبعد وفاة هنري المتكبر عام 1140م خلفه ابنه هنري الأسد الذي وافق على التنازل عن دوقية سكسونيا لكونراد ولكن عمه ولف السادس Welf VI رفض التنازل عن دوقية بافاريا الأمر الذي أدى إلى استمرار النزاع بينه وبين كونراد الثالث. انظر:
Arther, The crusade, P. 210.
Lane – Poole (A): "Germany, 1125 – 1152" in Camb. Med. Hist. Vol., V, London, 1980, PP. 345 – 349.

(6) Michaud, Histoire des croisades, tom 1, PP. 167 – 168.

(7) أصبح كونراد الثالث ومانويل كومنين حليفان في هذه الفترة فقد تزوج مانويل من برثا من سالزباخ Berta of Salzbach شقيقة زوجة كونراد الثالث ملك ألمانيا بتأثير من أبيه حنا كومنين وذلك عام 1142م ولذلك ارتبط البيت البيزنطي بالألمان برباط المصاهرة، مع أن مانويل لم يحب زوجته هذه. عن ذلك انظر:
Nicetas, Chonitas, Historia in corpus scriptorium Historiae, Byzantinae Bonne, 1835, P. 266. Meade, Eleanor, P. 90. Alison, Eleanor, P. 58.

(8) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص296.

(9) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص268-269،

(10) ميخائيل زابوروف: الصليبيون في المشرق، ص177.

بسبب الحروب الأهلية[1] كما وافق كونراد أيضا بسبب استجابة عدوه وولف السادس Welf VI دوق بافاريا لدعوة القديس برنارد[2] كما أنه رأى أن الاشتراك في الحملة الصليبية سيخلصه من المشاكل الداخلية والحروب الأهلية التي تعاني منها ألمانيا[3].

استجاب أيضا لدعوة برنارد اللصوص والمجرمون حتى يحصلوا على الغفران لخطاياهم، هذا بالإضافة إلى عدد من الإقطاعيين الألمان في المقاطعات الواقعة على نهر الراين[4] بالإضافة إلى عامة الناس في ألمانيا الذين اعتقدوا أن الاشتراك في الحملة الصليبية سيخلصهم من المجاعة التي كانت تمر بها ألمانيا والحصول على الثروات[5].

لم يكن البابا إيوجين الثالث مرحبا باشتراك كونراد في الحملة الصليبية وذلك لأن البابا كان قد طلب منه مساعدته ضد الثوار في إيطاليا ولكنه لم يستجب له كما أن البابا قد أدرك أن غياب كونراد الثالث سوف يؤدي إلى ازدياد نفوذ الإمبراطورية البيزنطية وروجر الثاني ملك صقلية الذي كان يمثل خطرا كبيرا على البابا[6].

أما موقف الإمبراطور مانويل كومنين فقد غضب عندما علم باشتراك كونراد الثالث في الحملة الصليبية الثانية لأنه رأى أن اشتراكه يهدد التحالف الألماني البيزنطي الموجه ضد روجر ملك صقلية النورماني ويجعل مانويل معزولا عن الغرب الأوروبي.

كما إنه من الصعب على الإمبراطور مانويل أن يطلب من كونراد أن يؤدي يمين الولاء والتبعية له لأنه مساو له في الحق الإمبراطوري ونتيجة لذلك فإن مانويل لن يتمكن من السيطرة على الصليبيين أثناء عبورهم الأراضي البيزنطية[7].

هذا إضافة إلى أن غياب كونراد الثالث في الشرق وانشغال القوات البيزنطية في المراقبة والسيطرة على القوات الصليبية أثناء عبورها سوف يتيح الفرصة للملك روجر النورماني لمهاجمة الأراضي البيزنطية في إيطاليا[8].

في النهاية وبعد موافقة الإمبراطور الألماني كونراد الثالث على الاشتراك في الحملة أخذت القوات الألمانية تتجمع في مدينة راتيسبون[1] Ratisbon للتوجه إلى الشرق بعد الانتهاء من الاستعدادات[2].

---

(1) عادل عبد الحافظ: العلاقات بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي 1152-1250م/547-648هـ، الطبعة الأولى (القاهرة، 1989م)، ص47.
(2) ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، ص177.
(3) عزيز سوريا عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف، راجعه الأستاذ أحمد خالي (القاهرة، د.ت)، ص59.
(4) عادل عبد الحافظ: العلاقات السياسية، ص47.
(5) ميخائيل زابروف: الصليبيون في الشرق، ص174-175.
(6) Balzani, (U.G.O.) Italy, (1125 – 1152) in Camb. Med. Hist. Vol. V (London, 1980) P. 374.
(7) لم يكن كونراد ملك ألمانيا مساويا للإمبراطور البيزنطي حتى هذه المرحلة – وذلك لأنه كان ما زال يحمل لقب ملك ولم يحصل على لقب إمبراطور في الغرب – فقد كان يلقب نفسه فقط بلقب إمبراطور خاصة في مراسلاته مع الأباطرة البيزنطيين حتى يكون ندا لهم، ويبدو أن ذلك هو السبب في إضفاء لقب إمبراطور على كونراد. والواقع أن كونراد مات في 15 فبراير عام 1152م وهو في طريقه إلى روما للحصول على التاج الإمبراطوري, وذلك بعد الحملة الصليبية الثانية وأحداثها. عن ذلك انظر:
Folzy, R. The concept of the empire, trans, by Sheila Annoglivie, London, 1969.
(8) إسحاق عبيد: روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين 869-1204م (القاهرة، 1970م)، ص188.

كذلك أرسل القديس برنارد خطابا إلى الإنجليز في عام 541هـ/1146م بعد اجتماع فيزلاي ذكر فيه انتصار المسلمين على الصليبيين وأنهم سوف يهاجمون القدس ويدمرون الأماكن المقدسة وطلب منهم إيقاف الحرب الأهلية بينهم وأن يحملوا السلاح من أجل الثأر من المسلمين كما وعدهم بأنهم سوف يحصلون على الغفران عن خطاياهم إذا شاركوا في الحملة الصليبية(3).

رفض الإنجليز المشاركة في الحملة الصليبية بسبب الحرب الأهلية الدائرة بين ماتيلده ابنة هنري الأول (1100-1135م) وبين ستفين كونت أنجو فقد استمرت الحرب الأهلية من عام 1135م حتى 1153م مما أعاق الإنجليز عن الإسهام في هذه الحملة المرتقبة(4).

كما استجاب لدعوة برنارد عدد قليل من البلجيكيين وأبناء شمال هولندا وهؤلاء تم وضع خطة حاسمة للحفاظ على سير رحلتهم ونجاحها حيث حظر عليهم التباهي بالملابس الثمينة ومنع اصطحاب النساء معهم.

دور الملك لويس السابع في الإعداد للحملة :

وجد لويس أن الإعداد للحملة يتطلب مبالغ مالية باهظة لذلك قام بعمل إحصاء للسكان في فرنسا بعد الانتهاء من اجتماع فيزلاي من أجل جمع الأموال لسد نفقات الحملة، ولم تعرف الطريقة التي تم بها هذا الإجراء، ولكن الثابت أن الأموال التي جمعها من الكنيسة فاقت الأموال التي كانت تدفع إليها كما جمع أموالا أيضا من أتباعه سواء كانوا علمانيين أم رجال دين(5).

كانت هناك تساؤلات كثيرة حول كيفية نقل القوات الصليبية إلى الشرق وكيفية توفير الإمدادات اللازمة لهم من الغذاء وكيف يحصلوا على أدلاء مسئولين عن قيادتهم داخل الأراضي الغريبة(6) ولذا عمل لويس على كسب التأييد الدولي لهذه الحملة بعد اجتماع فيزلاي، فبعث رسلا إلى الملك لويس روجر الثاني ملك صقلية يطلب منه المساهمة في الحملة الصليبية.

كذلك أراد لويس السابع الحصول على موافقة ملوك الدول التي ستمر الحملة عبر أراضيهم، فكتب إلى الإمبراطور الألماني كونراد الثالث والملك المجري جيزا الثاني Geza II (1141-1161م) يطلب منهما حرية المرور عبر أراضيهما وإمداده بالمؤن اللازمة وقد أرسل الملكان رسلا إلى لويس يحملان موافقتهما على طلبه.

كما أرسل لويس السابع رسلا إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل كومينين يطلب منه التسهيل والسماح للصليبيين بالمرور عبر أراضي الإمبراطورية البيزنطية وتوفير المؤن

---

(1) تقع مدينة راتيسبون Ratisbon في غرب ألمانيا على نهر الدانوب شمال شرق ميونيخ شيدها الرومان عام 179م. انظر:
Webester, New Geographyical Dictionary, P. 1009.

(2) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص300، مكسيموس مونروند: تاريخ الحرب المقدسة، ج2، ص31.

(3) Mayer (H.E.) The crusades, trans By. J. Gillingham, Oxford, 1972, PP. 99 - 100.

(4) سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج1، ص470-471.

(5) Meade, Eleanor, P. 75.
Kelly, Eleanor, P. 36.
Perry, The second crusade, P. 471.

(6) Meade, Eleanor, P. 76. Kelly, Eleanor, P. 36.

اللازمة لهم وقد رد الإمبراطور البيزنطي بالموافقة على طلب لويس وأعرب عن سعادته ورغبته في محاربة المسلمين ووعده بتوفير الإمدادات اللازمة للصليبيين[1].

وربما يرجع السبب في موافقة مانويل كومنين على مطالب لويس إلى علمه بالاتصال الذي تم بين عدوه روجر ملك صقلية وبين لويس السابع ولأن روجر كان على عداء مع الإمبراطور البيزنطي لذا فقد خشى الإمبراطور البيزنطي من قيام تحالف بين روجر ولويس السابع ومن ثم حاول مانويل التودد إلى لويس السابع بالموافقة على مطالبه لكسب لويس وإبعاد روجر الثاني عن الاشتراك في الحملة الصليبية الثانية[2].

اجتماع ايتامب Etampes :

في 16 فبراير عام 1147م/524هـ تم عقد اجتماع في مدينة إيتامب الفرنسية وذلك لمناقشة التجهيزات ومعرفة الطريق الذي ستسلكه الحملة الصليبية واختيار الشخص الذي سينوب عن الملك لويس أثناء غيابه في الأراضي المقدسة وتحديد موعد رحيل الحملة الصليبية، حضر الاجتماع الملك لويس السابع وعدد كبير من البارونات والأساقفة الذين وصلوا إلى الاجتماع خلال ثلاثة أيام[3] كما حضر الاجتماع القديس برنارد الذي انتهى مؤخرا من مهمته في الدعوة للحملة الصليبية في ألمانيا وعاد قبل فترة قصيرة من بدء الاجتماع.

افتتح الملك لويس الاجتماع يوم الأحد الموافق 16 فبراير عام 1147م بتقرير حول الإنجازات التي حققها حتى ذلك الوقت حيث كان لويس قد تسلم ردود من كل من الملك روجر النورماني والإمبراطور الألماني كونراد الثالث والبيزنطي مانويل كومنين فقد حضر رسلهم جميعا اجتماع إيتامب الذي استمر ثلاثة أيام من السادس عشر حتى الثامن عشر من فبراير.

في اليوم الأول من الاجتماع تم مناقشة الردود التي وصلت من مختلف البلدان وفي اليوم الثاني تم مناقشة العروض التي قدمها الملك روجر بشأن الاشتراك في الحملة الصليبية وقد حدث خلاف بين المجتمعين حيث أبدى البعض منهم قبول العروض التي قدمها روجر بشأن توفير السفن اللازمة لنقل الصليبيين إلى الشرق وقد برر هؤلاء قبولهم وتفضيلهم لعرض روجر بأن الرحلة البحرية أقل عرضة للخطر[4]، لن تواجه الصعوبات التي قد تواجه الجيش في الطريق البري بالإضافة إلى مخاطر العبور في أراضي مجهولة في آسيا الصغرى، وعلاوة على ذلك فإنهم سوف يتجنبون مخاطر اعتداء الإمارات اليونانية عليهم لعداوتهم للفرنسيين.

كان على رأس الفريق المؤيد لمشاركة روجر الفريق جودي فري أسقف لانجريوس الذي كان ميالا بقوة إلى روجر ملك صقلية، ومعاد للبيزنطيين بسبب الأذى الذي ألحقوه بالصليبيين خلال الحملة الصليبية الأولى[5].

---

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص298-299.
Perry, The second crusade, PP. 469 – 470.
Meade, Eleanor, PP. 75 – 76.
Kelly, Eleanor, P. 36.

(2) Vasiliev, (A. A): Histoire de L'Empire Byzantine tom II (Paris, 1932) Tom 2, P 59.

(3) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص299، 300.
Meade, Eleanor, P. 76.
Perry, The second crusade, P. 477.

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص299-300، ارنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العريني، (بيروت، 1967م)، ص74-75، Meade, Eleanor, P. 76.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص299-300، باركر: الحروب الصليبية، ص74-75.

أما الفريق الآخر فقد فضل السفر عن طريق البر، وبرروا اختيارهم هذا بأن روجر في الوقت الحاضر في حالة حرب مع البيزنطيين وأنه قدم العرض السابق لصالحه الخاص هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا لا يثقون في النورمان الذين كانوا في نظرهم مشهورين بالغدر والخداع[1].

رغم الخلافات التي نمت في الاجتماع إلا أنه تقرر في نهاية اليوم الثاني منه اختيار الطريق البري الذي يمر عبر أراضي الدولة البيزنطية وتم رفض عروض روجر فسحب رسله من الاجتماع[2].

يرجع أسباب رفض الملك لويس لعروض روجر إلى أنه كان يدرك تماما أن روجر يهدف من خلال عرضه السابق إلى كسب الفرنسيين في صفه لمناهضة السياسة البيزنطية[3]. هذا بالإضافة إلى رغبته في عزل لويس عن الإمبراطور كونراد الثالث الذي اشترك في الحملة الصليبية وذلك لأنه وقع معاهدة سرية مع الإمبراطور مانويل كومنين موجهة ضد روجر[4].

كما كان من أسباب رفض لويس لعروض روجر أيضا أنه كان يطمع من خلال مشاركته في الحملة الصليبية الاستيلاء على أنطاكية باعتباره الوريث الوحيد من الذكور من ذرية ابن عمه بوهمند الأول.

لذا فإن مشاركته في الحملة الصليبية كانت ستخلق مشكلة مع ريموند حاكم أنطاكية وعم الملكة إليانور[5]، الأمر الذي جعل من الصعب على لويس تقبل عروض روجر، هذا بالإضافة إلى أن كونراد الثالث الذي كان سيرفض السفر عن طريق البحر بسبب عدائه مع روجر النورماني، كما أن مانويل كومنين كان يفضل أن تسلك الحملة الصليبية الطريق البري حتى يتمكن من الإشراف على القوات الصليبية حيث إنه كان يخشى أن يقوم روجر بتوجيه الحملة الصليبية ضد القسطنطينية أو ضد أنطاكية. أما البابوية فلم ترحب باشتراك روجر في الحملة الصليبية لأن علاقة روجر بالبابوية كانت سيئة كما كانت تخشى من أن يعمل روجر على تدمير العلاقة بين اللاتين والبيزنطيين وذلك عن طريق تحويل الحملة الصليبية إلى حرب ضد بيزنطة[6].

وبرغم نية لويس السابقة في رفض عروض روجر وعدم رغبته في اشتراكه في الحملة الصليبية ربما يرجع سبب إرسال لويس إلى روجر ملك صقلية يعرض عليه الانضمام للحملة إلى رغبة لويس في الضغط على مانويل كومنين للحصول منه على أكبر قدر من التسهيلات عند مرور الحملة عبر أراضي الدولة البيزنطية[7].

وهذا ما حدث بالفعل حيث رحب مانويل بمرور القوات الصليبية في أراضيه دون أية مطالب ولكن بعد أن تم رفض عروض روجر في اجتماع إيتامب بدأ مانويل يطالب لويس بمطالب معينة مثل أداء يمين الولاء والبيعة للإمبرطور البيزنطي وإعادة الأراضي التي استولوا عليها من أيدي المسلمين إلى الدولة البيزنطية والتي كانت تابعة لها من قبل وهكذا بعد أن تم الاتفاق على

(1) Meade, Eleanor, P. 76.

(2) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص299-300،
Meade, Eleanor, P. 76.

(3) Mayer, The Crusades, P. 102.

(4) Balzani, (U.G.O). Italy, 1125 – 1152, in Camb.Med. Hist. Vol.. V, London, 1980, P. 375.

(5) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص622.

(6) Perry, the second Crusade, PP. 470 – 477.
باركر: الحروب الصليبية، ج2، ص292-299-300، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص622.

(7) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص139.

اختيار الطريق البري تقرر في اليوم الثالث والأخير من اجتماع إيتامب اختيار الأب سوجير والكونت وليام من نيفار William of Nerers لإدارة شئون المملكة أثناء غياب الملك لويس لكن الكونت وليام أعلن فجأة رغبته فى الالتحاق بدير شارتر Charters أما الأب سوجير فلم يكن لديه حماس أو رغبة في قبول الوصاية على العرش لأنه يعتبر ذلك عبئا ثقيلا وليس تكريما وتشريفا، لكنه وافق في النهاية تلبية لطلب البابا أيوجين الثالث وتم تحديد موعد رحيل الحملة في 15 يونيو عام 1147م/542هـ[1].

بعد انتهاء الاجتماع تقرر مغادرة الحملة خلال ثلاثة أشهر، وأن يكون مكان الاجتماع بمدينة مينز[2] Mainz.

غادر إيوجين الثالث مدينة فيتربو متوجها إلى فرنسا في يناير عام 1147م ووصل إلى باريس في الحادي عشر من يونيو بعد رحلة استغرقت ثلاثة أشهر وذلك من أجل الإشراف على الاستعدادات الأخيرة للحملة قبل مغادرتها إلى الشرق والاحتفال بعيد الفصح في كنيسة القديس دنيس حيث ترأس البابا القداس الذي أقيم في الكنيسة. وبعد الانتهاء منه قام البابا ايوجين الثالث بفتح الباب الصغير أمام المذبح أزال الإناء الفضي الذي احتوى على عظام القديس دينس وقدمه قربانا ثمينا للملك لويس السابع كما قام بوضع حربته المذهبة في يدي لويس وبارك الحملة الصليبية.

حضرت إليانور كل مراحل القداس وظلت تبكي وربما كان ذلك بسبب تأثرها بالقداس أو نتيجة التعب الذي ألم بها وهو ما لا يمكن الجزم به[3].

عندما علم الإمبراطوري البيزنطي باقتراب القوات الفرنسية من القسطنطينية حاول إقناع كونراد الثالث باستكمال السير إلى آسيا الصغرى وعدم انتظار الملك لويس السابع وقواته[4] كما تم الاتفاق بين الجانبين البيزنطي والألماني على أن يقوم البيزنطيون بنقل الألمان على سفن بيزنطة وأن يمدوهم بمرشدين[5]، ونتيجة لذلك عبر الألمان البسفور في نهاية شهر سبتمبر عام 1147م ولم ينتظر كونراد الثالث لويس وقواته عند أسوار القسطنطينية حسب الاتفاق المعقود بينهما[6].

يرجع السبب في عدم انتظار كونراد وصول لويس وقواته عند أسوار القسطنطينية إلى العداء بين الألمان والفرنسيين[7].

عند وصول الألمان إلى أسوار القسطنطينية قام البيزنطيون بإغلاق أبواب المدينة في وجه الألمان، وكان البيزنطيون يرمون لهم الحبال من فوق الأسوار فيقبضون الأموال ثم ينزلون لهم ما يطلبون من غذاء كما كانوا يقومون بأعمال الغش في الميزان أثناء عملية البيع والشراء، وكان

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص301، مكسيموس مونروند: تاريخ الحروب المقدسة، ج2، ص39-40،
Meade, Eleanor, P. 76.

(2) مينز: مدينة صناعية تقع غرب ألمانيا على نهر الراين تم بناؤها بالقرب من قلعة رومانية قام الجرمان بتدميرها عدة مرات. Webester "New Geographical Dictionary" P. 712.

(3) Meade, Eleanor, P. 77.
Ffiona, Eleanor, P. 36.

(4) Meadw, Eleanor, P. 90.
Vasilieve, Histoire de L'Empire, Tom II, P. 63.

(5) إسحاق عبيد: روما وبيزنطة، ص192.

(6) Perry, The second Crusade, P. 486.

(7) Grousset, Histore des crusades, Tom 2, P. 227.

السكان يخلطون الجير بالدقيق كما إن مانويل عملة فضية ذات قيمة منخفضة لشراء ما يبيعه الألمان وربما تصرف البيزنطيون هكذا بإيعاز من مانويل حتى يعجل بسرعة ترك الألمان للقسطنطينية وسيرهم إلى آسيا الصغرى وتحقق له ذلك بالفعل[1].

رحيل الفرنسيين من مينز إلى القسطنطينية وموقف الإمبراطور مانويل كومنين منهم :

غادرت القوات الفرنسية مدينة مينز Mainz بقيادة الملك لويس السابع في الخامس عشر من يونيو عام 1147م/542هـ متجهين إلى القسطنطينية وقد شارك في الحملة كما ذكرنا الملكة إليانور وسيدات من الفلاندرز وتولوز مسلحات بالسيوف والحراب وشاركت أيضا فرق بريطانية وكل الذين حملوا الصليب في اجتماع فيزلاي، بالإضافة إلى الفقراء والحجاج[2].

اختلف المؤرخون في عدد الجنود الفرنسيين الذين شاركوا في الحملة الصليبية فقيل إن عددهم بلغ سبعين ألفا[3] وقيل مائة ألف[4] وقيل مليونا من الرجال والفرسان[5]، وربما الرأي الصائب هو سبعون ألفا لأن ذلك هو ما ذكره من شاركوا في الحملة الصليبية.

اقسم الجنود وقادة الجيش الفرنسي على اتباع تعليمات الملك لويس أما بالنسبة لإليانور، فقد تمنت ألا تكون في صحبة زوجها الملك لويس أثناء الرحلة[6] وقد تحقق لها ذلك حينما أحاط لويس نفسه بعدد كبير من مستشاريه وخاصة اودو دي دويل Odo de Deuil سكرتيره السابق الذي قام بدور رجل الدين ودون ملاحظاته وقام بتسجيل وقائع الحملة، وتيري جاليران Thierry Galeran الذي كان قد تم اختياره ليكون حارسا شخصيا للملك ومستشارا له وقد شارك كلاهما لويس في خيمته.

أما إليانور فإنها فضلت أن تكون بصحبة حاشيتها الخاصة التي اختارتها بعناية والتي ضمت فرسان من أكوتين، وسيدات فضليات اختارتهم بعناية وشعراء جائلون ومغنين كانوا بجانبها رغم أن القديس برنارد كان قد حرم في اجتماع فيزلاي مشاركة المغنين والشعراء في الحملة[7].

مضى الجيش الفرنسي بجانب الأنهار الوفيرة والأراضي الزراعية التي امتدت على طول الطريق متجهين نحو الراين[8] وكان الملك لويس قد أرسل كل من الفسيوس Alvesius أسقف آراس Aras وليو Leo رئيس كنيسة القديس برتون Saint Perten ليتوجها قبله من مينز إلى ورمز[9] Worms من أجل إعداد السفن لعبور نهر الراين.

---

(1) Choniates (N).
Ocity of Byzantium, Annals of Niketas Choniates, Trans By H.J. Magoulias (Detroit, 1984) PP. 39.
(2) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص302، ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، ص178.
(3) وليام الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص271.
(4) Michaud, Histoire des croisades, Tom 1, P. 379.
(5) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص462.
(6) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص306.
(7) Meade, Eleanor, P. 78, Kelly, Eleanor, P. 38.
Alison, Eleanor, P. 55.
(8) Meade, Eleanor, P. 81.
(9) ورمز: مدينة تقع غرب ألمانيا على نهر الراين، قام الهون بتدميرها عام 436م، وأعاد الملك الفرنجي كلوفس بتدميرها وأصبحت مدينة حرة عام 1111م. انظر:
Webester, New Geographical Dictionary, P. 1352.

عندما وصل الملك لويس إلى ورمز في الحادي والعشرين من يونيو عام 1147م استقبل بحفاوة كبيرة وبعدها عبر نهر الراين، وعسكر على الجانب الآخر من النهر في انتظار القوات النورمندية والإنجليزية والمشاركة في الحملة وحصل الجيش الفرنسي على المؤن اللازمة له من أهالي المدينة لكن حدث اشتباك بين أهالي ورمز والفرنسيين أدى إلى وقف الإمدادات[1] حيث أن قوات لويس لم تلتزم بالأسس والقواعد التي وضعها لويس للجيش الفرنسي قبل مغادرته لميتز فقد منعهم من سرقة المواد الغذائية أثناء عبورهم البلاد إلا أن قوات لويس لم تلتزم بتعليماته وقاموا بسلب ونهب بعض السفن التجارية في ورمز[2] ونتج عن ذلك حدوث صدام بين تجار ورمز وبين القوات الفرنسية لكن الملك لويس قام بإرسال أسقف آراس للتعاون مع أهالي ورمز حتى نجح في مهمته ومنح أهالي المدينة الأمان وبعدها أعاد أهالي ورمز نشاطهم التجاري وقاموا بتوفير المؤن اللازمة للجيش[3].

وقد كتب أدو أوف دويل أثناء تدوينه أحداث الحملة أن القواعد التي وضعها لويس حتى يلتزم بها الجنود والقادة كانت مضيعة للوقت فلم يلتزم بها أحد[4].

كان لسوء إدارة الملك لويس السابع لجيشه وعجزه عن توفير المؤن والغذاء لهم، أن تراجع عدد كبير منهم وقرروا الانسحاب والعودة إلى بلادهم رغم أنهم كانوا متحمسين للخروج في الحملة الصليبية والوصول إلى الأراضي المقدسة.

لاحظت الملكة إليانور في بداية شهر يوليو، انسحاب عدد كبير من الجنود الناقمين على الملك وتركهم الحملة.

ومع ذلك لم ترغب إليانور في التدخل في هذا الأمر رغم يقينها لضعف شخصية زوجها وسوء إدارته، خاصة وأنها قد عاهدت القديس برنادر بعدم تدخلها في شئون الملكة كما أنها بدأت تسترد صحتها وتتحسن أحوالها النفسية بسبب بعدها عن مشاكل فرنسا وعن زوجها الذي عزل نفسه مع مرافقيه ومستشاريه حتى وصل الأمر أنها امتنعت عن سماع شئ من أخبار زوجها سواء من جيفري دي رانكون أو من أتباعها الجنوبيين، حتى أنها ابتعدت عن الساحة مما جعل أدو أوف دويل لا يذكر وجودها بين الصليبيين حتى بعد أسابيع من رحيل الحملة إلى الشرق[5].

أرسل الملك لويس أثناء وجوده في ورمز أسقف أراس والحاجب بارثلميو Bartholomew ومقدم دير سان بيرتن إلى راتسبون لمقابلة رسل الإمبراطور مانويل كومنين[6] ثم لحق بهم إلى هناك في التاسع والعشرين من يونيو عام 1147م، واستقبله أهل المدينة استقبالا رائعا وقابل رسولا الإمبراطور مانويل وهما ديميتريوس Demetrius ومايروس Mairus اللذان أرسلهما الإمبراطور مانويل برسالة إلى الملك لويس تضمنت ترحابا كبيرا بالملك لويس وقواته كما اشتملت على شرطين أساسيين أولهم أنه سيتصرف كصديق للإمبراطور البيزنطي أثناء مروره عبر الأراضي البيزنطية

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص306-307.
Perry, The second crusade, P. 487. Meade, Eleanor, P. 83.

(2) Meade, Eleanor, P. 83.

(3) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص307.
Perry, The second crusade, P. 487, Mead, Eleanor, P. 83.

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص306.

(5) Meade, Eleanor, PP. 83 – 84.

(6) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص308.
Meade, Eleanor, P. 84, Perry, the second crusade, P. 487.

والثاني أن يعيد الملك لويس السابع إلى الإمبراطور مانويل جميع الأراضي التي استولى عليها السلاجقة والتى كانت تابعة من قبل للبيزنطيين[1].

وافق الملك لويس وقواته على الشرط الأول أما الثاني فلم يوافقوا عليه وقرر لويس تأجيل الموافقة عليه حتى يناقشه بنفسه مع الإمبراطورة، كانت القوات الفرنسية قد اختلفت حول الشرط الثاني فقد رأى البعض أن الإمبراطور مانويل يجب أن يشتري منهم أي مدينة يستردوها من السلاجقة إذا أراد استردادها.

أما الآخرون فرأوا أنه يجب على الإمبراطور مانويل تحديد المناطق التابعة له قبل أن يطلب منهم هذا الطلب[2].

بعد موافقة لويس وقواته على الشرط الأول أقسم بعض قواده على الحفاظ على أمن الدولة البيزنطية نيابة عن لويس وفي المقابل أقسم رسل الإمبراطور مانويل على توفير أسواق كافية لإمداد الجيش الفرنسي بما يحتاج إليه من المؤن.

بعد ذلك عاد ديمتريوس إلى القسطنطينية، بينما انتظر مايروس الوفد الفرنسي الذي سيتجه إلى القسطنطينية للتفاوض مع الإمبراطور البيزنطي وكان من بين أعضاء الوفد الفرنسي أسقف آراس، بارثليمو الحاجب وآخرون حيث توجهوا جميعا إلى القسطنطينية وتبعهم لويس وقواته[3] واجتاز الجيش الفرنسي الأراضي الهنغارية والتي وصلوها بعد خمسة عشر يوما[4] وأرسل الملك الهنغاري جيز الثاني Geza II رسلا من جانبه محملين بالهدايا إلى الملك الفرنسي ودعوه إلى زيارة الملك الهنغاري فاستجاب لهم وتم الاتفاق بينهما على السماح للقوات الفرنسية وللحجاج بالمرور بأمان وبعدها عاد الملك لويس إلى معسكره محملا بالهدايا[5].

أثناء تواجد القوات الفرنسية في هنغاريا تلقت الملكة إليانور عدة رسائل من الإمبراطورة إيرين زوجة مانويل والتي ذكرت فيها كم هي سعيدة لحضور الملكة إليانور وتتطلع لرؤيتها[6].

بعد اجتياز القوات الفرنسية الأراضي الهنغارية وصلوا إلى الأراضي البلغارية[7] وبعدها وصلوا بلغراد[8] Belgrade.

---

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص308-310.
Perry, The second crusade, PP. 487 – 488, Kelly, Eleanor, P. 40.
Meade, Eleanor, P. 84.
Alison, Eleanor, P. 56.

(2) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص311.
Perry, the second, P. 488, Meade, Eleanor, P. 84. Kelly, Eleanor, P. 40.

(3) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص312، Perry, the second, P. 488.

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص312. Meadia, Eleanor, P. 86.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص316.
Perry, the scond Crusade, P. 488., Alison, Eleanor, P. 56.

(6) Meade, Eleanor, P. 86, Alison, Eleanor, P. 56.

(7) عن البلغار والحروب الصليبية انظر: شعبان محمد خلف حمزة: بلغاريا والحروب الصليبية من بداية الحملة الصليبية الأولى وحتى نهاية الرابعة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، 2008م.

(8) بلغراد: عاصمة يوغسلافية وهي مدينة صربية تقع على نهر الدانوب كانت تحت سيطرة الرومان قبل أن يحتلها الآفار في القرن التاسع الميلادي وفي القرن العاشر احتلها البلغار ثم احتلها البيزنطيون في القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر وفي القرن الرابع عشر استقر بها الصرب.انظر. ebeseter, P. 131

دخلت القوات الفرنسية الأراضي الفرنسية الأراضي البيزنطية في أواخر شهر أغسطس عام 1147م/542هـ وسلك الجيش الفرنسي نفس الطريق الذي سلكه الجيش الألماني[1] من قبل وتعرف الفريقان لأول مرة على العملة البيزنطية المعروفة باسم شاميناي، وكانوا يدفعون خمسة دنانير مقابل القطعة الواحدة مما ترتب عليه خسارة للفرنسيين[2][3] وهذا ما جعل أودو أوف دويل[4] يتهم البيزنطيين بأنهم نكثوا بوعودهم حيث كانوا قد أقسموا من قبل للفرنسيين بأنهم سوف يوفرون لهم سوقا مناسبا لتبديل العملة كما أغلق سكان المدن البيزنطية أبواب مدنهم وأنزلوا السلع من فوق الأسوار بواسطة التلال التي يدلونها بالحبال مثلما فعلوا مع الألمان ونتيجة لذلك لم تكن الأطعمة كافية مما دفع القوات الفرنسية إلى القيام بعمليات السلب والنهب. إن سوء تصرف البيزنطيين تجاه القوات الفرنسية وعدم توفير الطعام الكافي لهم جعل إليانور لأول مرة تدرك أن الحملة الصليبية لم تكن هي المغامرة المذهلة كما تصورتها كما أنها لم توجه اللوم للبيزنطيين على تصرفهم لأنها رأت أن الذي يستحق اللوم هو زوجها الملك لويس الذي أخفق في معاقبة الجنود الفرنسيين الذين قاموا بعمليات السلب والنهب، كما أن المسئول الأكبر عن ذلك هو الإمبراطور كونراد الثالث وقواته الذين عبروا ذلك الطريق قبل أسابيع قليلة وقاموا بانتهاكات وأعمال سلب ونهب كثيرة أدت إلى مواجهة البيزنطيين لهم والإساءة إليهم[5].

لم يكن موقف البيزنطيين عامة من الجيش الفرنسي ليمنع رجال الدين البيزنطيين من إبداء المشاعر الودية تجاه الملك لويس ورجاله، حتى أنهم كانوا يخرجون لاستقباله مثلما فعل حاكم مدينة صوفيا الذي استقبل الملك لويس بترحاب وقدم له ولقواته المؤن والتموينات التي كانوا يحتاجونها[6][7].

ورغم ترحيب رجال الدين البيزنطيين بالملك لويس وقواته إلا أن أودو كان متحاملا عليهم فاتهمهم بالهرطقة الدينية لأنهم كانوا يقومون بتطهير مذابح الكنائس بعد أن يستخدمها الصليبيون اعتقادا منهم بأنهم قد دنسوها[8][1]، وربما كان أودو مبالغا في اتهامه لرجال الدين وذلك بسبب كراهيته الشديدة للبيزنطيين.

---

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص314، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص303، Dismond, Eleanor, P. 44.

(2) تعرف الفرنسيون على العملة البيزنطية النحاسية المعروفة باسم شاميناي والتي ابتاعوها من أهلها بخمسة دنانير أي أنهم كانوا يخسرون ماركا كاملا في تبديل ما قيمته إثنا عشر صوليدي Solidus وتعني كلمة النقود عند البيزنطيين المعدن المطبوع أو المختوم – ولهذا فهي أشبه بنقود عصرنا المصنوعة من معادن رخيصة أو من الورق، وكان للمصاعب الاقتصادية أيام الإمبراطور مانويل كومنين أن أجبر على إنزال عيار الذهب في النقود بل على عدم ضرب نقود ذهبية.
انظر: حاتم عبد الرحمن الطحاوي: بيزنطة والمدن الإيطالية، العلاقات التجارية 1081-1204م، القاهرة، 1998م.

(3) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ج2، ص319.

(4) رحلة لويس إلى الشرق، ص320، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص303، Meade, Eleanor, P. 86.

(5) Meade, Eleanor, P. 87.

(6) Perry, the second Crusade, P. 489.

(7) قدم دوق صوفيا ميخائيل برانا Michael Branans المساعدة للجنود للحصول على المبادلات التجارية وفتح لهم الأسواق حتى قام لويس بتوزيع المؤن والأطعمة على الفقراء والأغنياء في جيشه ليبعدهم عن أعمال السلب والنهب. عن تفاصيل ذلك انظر: يوحنا كينا موس: أعمال يوحنا ومانويل كومنين. في كتاب سهيل ذكار: الموسوعة الشامية، دار الفكر، دمشق، ج29، ص92.

(8) رحلة لويس إلى الشرق، ص330-331،

واصل الملك لويس وقواته سيرهم متجهين نحو القسطنطينية وفي الطريق قابلوا مبعوثين من قبل الإمبراطور مانويل يطلبوا منه أن يتوجه بجيشه تجاه آسيا الصغرى بدلا من التوجه إلى القسطنطينية وهو نفس الطلب الذي طلبه مانويل من الإمبراطور الألماني كونراد من قبل.

رفض الملك لويس الطلب لأنه رأى أن هذا الطريق لم يسلكه رجال الحملة الصليبية الأولى وأنه يجهل السير فيه.

قابل الملك لويس أثناء توجهه إلى القسطنطينية أعضاء البعثة التي سبق أن أرسلها إلى القسطنطينية فأخبروه برحيل الإمبراطور كونراد وعبوره البوسفور بصحبة قواته كما أخبروه أيضا بالهدنة التي عقدها الإمبراطور مانويل مع السلاجقة مما جعل الفرنسيين يتهمونه بالخيانة ويطلبون من الملك لويس الاستيلاء على المدن والحصون والأراضي البيزنطية كما طلبوا منه أن يعقد اتفاقا مع الملك روجر الثاني ملك صقلية ويقوما معا بمهاجمة القسطنطينية ولكن الملك رفض ما طلبوه منه[2].

وصل الملك لويس وقواته إلى القسطنطينية في الرابع من أكتوبر عام 1147م/ 542هـ وخرج رجال الدين والنبلاء لاستقباله والترحيب به.

طلب مانويل من الملك لويس مقابلته في قصر بلاخيرناي Blachernae فوصل إليه وبصحبته مجموعة من النبلاء حيث رحب به الإمبراطور مانويل وتبادلا العناق وجلسا يتحدثان وديا وأبدى الإمبراطور مانويل استعداده لتقديم المساعدات والمؤن للقوات الفرنسية.

بعد انتهاء المقابلة توجه الملك لويس بصحبة بعض النبلاء البيزنطيين إلى قصر فيلوباتيوم Philopatium وهو القصر الذي أقام به الملك لويس أثناء وجوده في القسطنطينية.

اصطحب الإمبراطور مانويل كومنين الملك لويس وإليانور في جولة لزيارة الكنائس الموجودة بالمدينة[3].

انبهرت الملكة إليانور بجمال وسحر القسطنطينية وأثرت العجائب التي شاهدتها في القسطنطينية على تحسين انطباعها السيئ الذي أخذته عن البيزنطيين[4]، وقامت الإمبراطورة ايرين بتنظيم جولة ترفيهية للملكة إليانور لزيارة معالم المدينة كما خصصت لها مجموعة من العبيد لتلبية طلباتها.

زارت إليانور كنيسة القديسة صوفيا Saint Sophia حيث رأت تمثال العذراء التي تقطر الدموع من عينيها دون انقطاع كما شاهدت صندوق يحتوي على ثلاث هدايا مهداه للسيد المسيح كما شاهدت القوافل المحملة بالذهب والحرير والخشب الصندل القادمة من الشرق. كما رأت الملكة إليانور نافورات تتدفق منها العطور وكنائس مكسوة بالرخام والفسيفساء، وذاخرة بأنفس الآثار المقدسة، كل هذه الأشياء تركت بالتأكيد أثرا عميقا على إليانور.

---

(1) هذا الاعتقاد يرجع إلى الاختلاف العقدي بين الصليبيين الكاثوليك، والبيزنطيين الأرثوذكس، وما كان بينهما من شقاق وكلاهما يكفر الآخر.
عن ذلك الاختلاف انظر: سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج1.

(2) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص332-333، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص303، Perry, the second, P. 489.

(3) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص333-339، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص312.
Meade, Eleanor, P. 88, Alison, Eleanor, PP. 57 – 58, Perry, the second, P. 490.

(4) Meade, Eleanor, P. 89, Kelly, Eleanor, P. 42.

انبهرت إليانور أيضا بالترف البيزنطي وعرفت كيف يجب أن يعيش الملوك والملكات فقارنت بين الإمبراطور مانويل الذي تألق في عباءته الساحرة وبين لويس الذي كان شاحباً وبردائه الصليبي الخشن كما كان مانويل رقيقا ولطيفا ويقظا ويفيض بالسحر أما لويس فكان متدنياً خاملاً.

اندهشت الإمبراطورة ايرين زوجة مانويل من مشاركة الملكة إليانور ورفيقاتها من النساء في الحملة الصليبية وتساءلت عن الذي يجعل أي امرأة تتمنى السفر إلى القدس وهي رحلة طويلة كما أن الرحلة إلى أنطاكية محفوفة بالمخاطر خاصة بالنسبة للنساء اللاتي من الممكن أن يقتلهن ويذبحهن السلاجقة إلى جانب كثير من الصعاب التي ربما يتعرضن لها في الطريق مثل عدم وجود الماء أو أي وسيلة من وسائل الراحة فقد رأت أن المرأة العريقة الأصل لا تشارك في مثل هذه الرحلة والأفضل لها البقاء في بلدها.

عندما علمت النساء البيزنطيات بأن إليانور ارتدت سترة وركبت على ظهر فرس مثل الرجال تيقن من ضعف العقيدة المسيحية عند الفرنسيين وأنهم يعيشون في الجاهلية، ووصل بهن التفكير إلى أن إليانور أنها خرجت مع الحملة حتى تجعل زوجها تحت بصرها لأنها لا تأمنه.

رغم أن الملكة إليانور كانت تمثل بالنسبة لنساء الغرب في شكلها ومظهرها أعلى درجات الأناقة إلى أن النساء البيزنطيات قارن بين ثوبها وبين مستوى ثيابهن وجدن أن ملابسها مبتذلة ورديئة ولم يكن هذا غريبا عليهن لأنهن لا يتوسمن الأناقة من ملكة فرنسية متخلفة، وقد شعرت إليانور نفسها برأي نساء بيزنطة فيها[1]، وأنها أقل ولا تمثل شيئا بالنسبة لهن، رغم كثرة ما حملته معها من ملابس ومقتنيات كدستها في الصناديق.

استاءت إليانور كثيرا من عدم الاحترام الذي أبداه البيزنطيون ناحية الصليبيين وكيف أنهم سخروا من جميع الخطط التي عرضها لويس وقدمها للإمبراطور البيزنطي.

كان البيزنطيون يعتقدون في ضعف المستوى الثقافي للفرنسيين اللاتين في نظرهم كانوا سذجا ويؤمنون بالخرافات[2].

في الوقت الذي أقام فيه الملك لويس وزوجته في قصر فيلوباتيوم نصب رجال الجيش خيامهم خارج أسوار المدينة وأقاموا هناك لبضعة أيام للراحة قبل عبورهم البسفور والتوجه إلى آسيا الصغرى[3] وأثناء ذلك قام بعض الجنود الفرنسيين بإشعال النيران في العديد من البيوت وأشجار الزيتون، فعاقبهم الملك ببتر آذانهم وأيديهم وأقدامهم وهذا اضطر البيزنطيين إلى إغلاق أبواب المدينة في وجوههم، ورغم ذلك ظل البيزنطيون يقدمون المؤن للقوات الفرنسية كما كان هناك سوقا داخل المعسكر الفرنسي لتبديل العملة[4].

حاول الإمبراطور مانويل إقناع الفرنسيين بعبور البسفور واللحاق بالقوات الألمانية وعدم الانتظار في القسطنطينية لذلك قام بترويج إشاعات عن انتصار الألمان في آسيا الصغرى على السلاجقة وإنهم قتلوا منهم ألف وأربعمائة رجل مما أثار غيرة الفرنسيين من الألمان وحقدوا عليهم لما حققوه من مكاسب وطلبوا من الملك لويس الإسراع بعبور البسفور واللحاق بهم فاستجاب لويس

(1) Meade, Eleanor, PP. 91 – 92.
(2) Meade, Eleanor, PP. 91 – 92, Dismond, Eleanor, P. 45.
(3) William of New burgh, the English History, P. 93. Affairs Edited by P.G. walsh and M.J. Kennedy. Book 1, (U.S. A, 1998), p. 93.
(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص335-339،
Perry, The second, P. 491.

لطلبهم وقاموا بالعبور في السادس عشر من أكتوبر 1147م[1]. ويعود سبب تأخر لويس وقواته في القسطنطينية إلى انتظاره لفرقة من الجيش كانت قادمة عن طريق إيطاليا تحت قيادة أعمامه[2].

كان لدعوة مانويل للفرنسيين لعبور البسفور وعدم الانتظار في القسطنطينية لخوفه من الفرنسيين[3] خاصة أن العديد منهم كما ذكرنا سابقا كان يحث الملك لويس على ضرورة مهاجمة القسطنطينية والاستيلاء عليها وكان من هؤلاء أسقف لانجريوس الذي كان يكره البيزنطيين واتهمهم بالهرطقة[4]، لكن المندوب البابوي Papal legate الذي رافق القوات الفرنسية رفض هذا الاتهام ولعل هذا ما دفع مانويل إلى ترويج إشاعة انتصار الألمان حتى يعجل بعبورهم البسفور[5].

الفرنسيون في آسيا الصغرى :

بعد عبور القوات الفرنسية البسفور متجهة إلى آسيا الصغرى وأثناء إقامتهم على الشاطئ الشرقي للنهر قام بعض الحجاج المشاغبين بمهاجمة مكاتب الصرافين البيزنطيين ونهبوها، مما اضطر الصرافين إلى الهرب لذلك قام لويس بإعدامهم شنقا ثم قام بتسليم المسروقات إلى أسقف لانجريوس[6] كما قدم تعويضات للصرافين الذين طلبوا مبالغ أكثر مما فقدوها. وهذه الحوادث أدت إلى استنفاد خزانة لويس، مما اضطر إلى الكتابة إلى الأب سوجير يطلب منه إرسال أموال إضافية[7].

أرسل الإمبراطور مانويل رسلاً إلى الملك لويس أثناء وجوده في هذا المكان يطلب منه الموافقة على زواج قريبة له كانت في رفقة الملكة إليانور إلى ابن أخيه لكن طلبه قوبل بالرفض، كما طلب مانويل من الفرنسيين أن يقسموا يمين الولاء والتبعية، وأن يقوموا برد أي مدينة يستولوا عليه وكانت في الأصل تابعة للدولة البيزنطية في نظير قيام الإمبراطور مانويل بتوفير الإمدادات اللازمة للجيش وإمداده بالمرشدين وهذا هو الشرط الثاني الذي رفضوه من قبل[8].

رفض بعض الفرنسيين طلب مانويل تقديم الولاء وكان من بينهم أسقف لانجريوس بينما وافق الآخرون على ذلك[9].

وبينما كانت القوات الفرنسية تستعد لبدء رحلتها إلى آسيا الصغرى كانت القوات الألمانية بقيادة الإمبراطور كونراد تتعرض لكارثة عظيمة في آسيا الصغرى ذلك أن الإمبراطور كونراد وقواته اتجهوا أولا إلى خلقدونية Chalcedon في طريقهم إلى آسيا الصغرى، وهناك أرسل إليهم الإمبراطور مانويل مبعوثين يعرضون على كونراد التحالف معه بتقديم جزء من القوات الألمانية في القسطنطينية للوقوف معه في الحرب ضد روجر الثاني ملك صقلية[10] ومقابل ذلك يقوم مانويل

---

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص342-343،
Perry, the second, P. 491.

(2) Meade, Eleanor, P. 93, Alison, Eleanor, P. 59.

(3) محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية، ص151-152.

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص339-341.

(5) Perry, the second, P. 491.

(6) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص343-346، Perry, the second, P. 491.

(7) Meade, Eleanor, P. 93.

(8) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص346-349، Meade, Eleanor, P. 93.

(9) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص349،
Meade, Eleanor, P. 33.

(10) غضب روجر الثاني رفض مشروعه بمشاركة الألمان والفرنسيين الحملة الثانية، لذلك قام في خريف عام 1147م، منتصف عام 542هـ وقبل وصول الصليبيين إلى القسطنطينية بمهاجمة الإمبراطورية البيزنطية

بتقديم المساعدات للقوات الألمانية في آسيا الصغرى إلا أن الإمبراطور كونراد رفض التحالف مع الإمبراطور وذلك حتى لا يشارك البيزنطيون الألمان فيما يحققون من انتصارات[1].

سار كونراد وقواته من خلقونية إلى نيقية[2] Nicaea وفي تلك البلدة قام بتقسيم قواته إلى قسمين الأول يشمل غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ وهؤلاء ساروا في الطريق الساحلي إلى أضاليا[3] Adalia أما القسم الآخر فيشمل الجنود المحاربين من المشاه والفرسان تحت قيادة الإمبراطور كونراد وهؤلاء اتخذوا طريقهم من نيقية إلى قونية[4] Konya .

تحركت القوات الألمانية في الخامس عشر من أكتوبر عما 1147م/542هـ بصحبة الأدلاء البيزنطيين الذين أمر بهم الإمبراطور مانويل ولم يكن مع الألمان من الطعام إلا ما يكفي لمدة ثمانية أيام وذلك بناء على نصيحة الأدلاء الذين أخبروهم بأن هذا الطعام يكفيهم حتى الوصول إلى قونية التي يستغرق الوصول إليها ثمانية أيام، ولأن المسافة كانت طويلة بين نيقية وقونية لذلك بدأت المؤن في النفاد مما جعل كونراد يستدعي الأدلاء البيزنطيين ويسألهم عن موعد وصولهم إلى هناك فأجابوا بأنه خلال ثلاثة أيام وفجأة هرب الأدلاء أثناء الليل وتركوا الجيش الألماني[5].

عندما علم كونراد بذلك استشار قادته فيما يجب فعله فأشار عليه بعضهم بالعودة إلى بلادهم ورأى الآخرون استكمال السير وفجأة هاجمتهم جيوش السلاجقة، ودارت معركة طاحنة بين القوتين عند مدينة ضورليوم Dorylaeum في السادس والعشرين من أكتوبر سنة 1147م انتصر فيها السلاجقة وحصلوا على غنائم كثيرة من الخيول والأسلحة والأموال، أما الألمان فخسروا خسارة فادحة في الأرواح والمعدات وأصيب كونراد في تلك المعركة بجرح في رأسه ونجح في

واستولى على جزيرة كورفو وبعض المدن الصناعية الأخرى، ونقل عمالها إلى بالرمو في صقلية، لذلك استعد مانويل لمواجهتهم. انظر:
محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص140-141.

(1) Grousset, Histoire des croisade, P. 233.
رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص310.

(2) نيقية Nicaea : اسمها الحالي أزنيق Iznik في تركيا، وهي إحدى مدن إقليم بثينا البيزنطي أحد أكبر وأهم المدن البيزنطية واشتهرت المدينة بمكانتها التجارية وبكونها أحد أهم الطرق العسكرية المؤدية إلى الأراضي الداخلية لآسيا الصغرى. انظر:
Kazhdon (A.P.): The Oxford Dictionary of Byzantium, Oxford, 1994, Vol. 1, P.P. 1463 – 1465.

(3) اضاليا Adalia: اسمها الحالي أنطاليا Antalia وهي إقليم يقع جنوب شرق تركيا شيدت عام 150ق.م بواسطة اتالوس الثاني فيلادلفيوس Attalus II Philadelphus ملك برحاموم. انظر:
Webster New Geographical Dictionary, P. 55.

(4) قونية : هي مدينة تقع في الأناضول، وهي من أعظم المدن الإسلامية في بلاد الروم. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص415.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص355-360، وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص275-278، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص311.
Perry, The second, P. 496., Kelly, Eleanor, P. 496.
Alison, Eleanor, P. 59, Meade, Eleanor, P. 95.

الهروب مع عدد قليل من قواته حيث عادوا إلى نيقية في الثالث من نوفمبر 1147م وانتظروا وصول الملك لويس وقواته هناك[1].

يرجع السبب في موافقة الفريق الآخر من الفرنسيين على تقديم الطاعة والولاء إلى الإمبراطور البيزنطي إلى حاجتهم إلى متابعة الرحلة، والتزود بالإعدادات والمرشدين[2].

استجاب الملك لويس لرأي الأغلبية في قواته، ووقع اتفاقا مع الإمبرطور البيزنطي مانويل، حيث اجتماع الإثنان في إحدى القلاع القريبة من ساحل البسفور في السادس والعشرين من أكتوبر عام 1147م. نص الاتفاق على ألا يستولى لويس على أية قلعة أو حصن كان من أملاك البيزنطيين وتعهد مانويل مقابل ذلك بتقديم المؤن والإمدادات اللازمة إلى القوات الفرنسية، وتزويدهم بمرشدين بيزنطيين ليرشدوهم إلى الطريق الصحيح كما نص الاتفاق أنه في حالة عدم توفر المؤن يحق للفرنسيين نهب القلاع بشرط عدم احتلالها.
أما مانويل فلم يرسل المرشدين الذي وعد بإرسالهم لكنه أقام أسواقا للقوات الفرنسية لبضعة أيام فقط[3].

وصل الفرنسيون إلى نيقية في أوائل جمادى الآخر عام 542هـ أوائل فبراير عام 1147م، وهناك علموا بالكارثة التي حلت بالجيش الألماني، فبعد وصول فردريك إلى المعسكر الفرنسي، أخبر الملك لويس بما حدث وطلب منه التوجه لمقابلة كونراد، لذلك خرج لويس ومعه بعض نبلائه لمقابلة كونراد، وبعد وصوله للمعسكر تبادلا التحية ثم اتفقا على أن تنضم القوات الألمانية إلى القوات الفرنسية خلال الزحف على الشرق وأن ينتظر الملك لويس القوات الألمانية التي ستنضم إليه في لوباد بالقرب من مدينة أبولينا Apoloina.

سارت القوات الفرنسية من نيقية إلى لوباد حيث قاموا بنهب المناطق البيزنطية بعد أن قطع البيزنطيون عنهم الإمدادات[4].

بعد وصول القوات الفرنسية أخذت تنتظر القوات الألمانية التي كانت تعاني أثناء سيرها من هجمات البيزنطيين مما أدى إلى استغاثة كونراد بالملك لويس الذي نجح هو وقواته في الدفاع عن الألمان وطرد البيزنطيين[5] سارت القوات الألمانية والفرنسية سويا من لوباد إلى ايسيرون[6] Eseron ومنها إلى فيلادلفيا[1] Philadilphia وهناك أوضح كونراد للملك الفرنسي بأن هناك طريقان للوصول إلى أنطاكية Antioch.

---

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص355-360، وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص275-278، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص311، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص625-626.
Meade, Eleanor, P. 46, Perry, The srcond crusade, P. 496, Alison, Eleanor, P. 59.

(2) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص346-349،
Grusset, Histoire des croisade de, Tom. 2, P. 2393

(3) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص349-351،
Grousset, Histoire, des croisade, tom 2, P. 239.
Perry, the second Crusade, P. 492.

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص360-361، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص312.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص361-364،
Grousset, Histoire des croisade, Tom. 2, P. 240.

(6) إيسرون Eseron: مدينة تقع قرب مدينة باليق سراي الحالية في تركيا.
انظر: رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص434.

الطريق الأول بري ويستغرق حوالي ثمانية أيام حتى يمكنهم الوصول إليها وهذا الطريق يحتاج إلى مؤن وإمدادات كما أنه خطير لاحتمال تعرضهم للهجمات السلجوقية.

أما الطريق الآخر فهو الطريق الساحلي وهذا الطريق أكثر أمانا عن الطريق الأول لأنه بعيد عن الهجمات البيزنطية والسلجوقية ولذلك اختار لويس الطريق الساحلي حيث تقدمت القوات الفرنسية والألمانية إلى ميناء ادرميد[2] Edremid ومنه إلى مدن بيرجاموم Pergamum وأزنير Aznir ثم إلى إفسوس[3] Ephsus التي وصولها في نوفمبر 1147م[4].

حصل الصليبيون على المؤن والإمدادات من المدن البيزنطية التي مروا بها ولكن بصعوبة شديدة بسبب غطرسة القوات الألمانية، وجشع البيزنطيين الذين كانوا يبيعون السلع بأسعار مرتفعة.

قابل الملك لويس رسلا من الإمبرطور مانويل في مدينة إفسوس وأخبروه بأن السلاجقة على وشك القيام بهجوم ضدهم، وطلب منهم أن يحتموا بالقلاع البيزنطية، لكن لويس رفض الأخذ بنصيحة مانويل حتى لا يظهر خوفه من السلاجقة[5].

أما كونراد الثالث الإمبراطور الألماني، فإنه قرر العودة من إفسوس إلى القسطنطينية حيث أبحر عائدا إليها، بسبب مرضه الذي عاقه عن مواصلة الرحلة[6]، وأيضا بسبب انزعاجه لأنه فقد الكثير من قواته خلال سيره في آسيا الصغرى[7]، كما ذكر البعض أن كونراد عاد إلى القسطنطينية بعد خوفه من الإشاعة التي سرت حول قيام السلاجقة بهجوم على الصليبيين[8].

تقدمت القوات الصليبية من إفسوس إلى وادي ديسيرفيون Decervion حيث تم الاحتفال في ذلك الوادي بعيد الميلاد، وهناك هاجم السلاجقة والبيزنطيون القوات الصليبية التي نجحت في طردهم وقتل العديد منهم[9].

واصلت القوات الصليبية سيرها، وعند نهر الماينـدر Maeunder حدث اشتباك بين الفرنسيين والسلاجقة في أوائل شهر شعبان عام 542هـ/ أوائل شهر يناير عام 1148م، فعند وصول الملك لويس وقواته إلى ضفة النهر رأى مجموعة من السلاجقة على الضفة الثانية يقذفون السهام على الفرنسيين لمنعهم من العبور، الأمر الذي جعل لويس يقوم بسحب قواته بعيدا عن نظر

---

(1) فلادلفيا: مدينة تقع في تركيا الحالية واسمها الآن Aloshehir قام الأتراك السلاجقة باحتلالها من الإمبراطورية البيزنطية بعد موقعة مانزكرت عام 1071م واستطاعت بيزنطة استعادتها عام 1091م وأصبحت خط الدفاع الرئيسي عن الحدود البيزنطية. انظر:
The Oxford Dictionary of Byzantium , Vol. 3, P. 1648.

(2) أدرميد: هي مدينة أدرميت التركية الحالية تقع شمال غرب آسيا. انظر:
The Oxford Dictionary, Vol. 1, P. 227.

(3) إفسوس: مدينة تقع في آسيا الصغرى قرب سواحل بحر إيجة كانت تابعة للدولة البيزنطية ثم قام السلاجقة باحتلالها من عام 1090م إلى 1096م.
The Oxford Dictionary, Vol., 1, P. 706.

(4) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص280، أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص365-369.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص369.

(6) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص627، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص313.

(7) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص281.

(8) Arther, the Crusade, P. 215.

(9) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص370،
Alison, Eleanor, P. 60.

السلاجقة وأعاد تنظيمها قبل عبور النهر، وقبل بدء المعركة[1] حيث طلب لويس من قواته أن يقاتلوا بشجاعة، وألا يمنعهم الخوف من الدفاع عن أنفسهم وأوضح لهم أنه سيكون أول من يعبر النهر[2].

بعد أن امتطى لويس جواده أعطى الإشارة لقواته ببدء المعركة حيث نجح هو وقواته في عبور النهر، وقتلوا وأسروا الكثير من السلاجقة واستولوا على معسكرهم بما فيه من أسلاب وغنائم[3].

أمضى الصليبيون ليلتهم على الضفة الثانية للنهر، وهم سعداء بالانتصار الذي حققوه على السلاجقة وتحركوا في صباح اليوم التالي إلى لاودكيا Laodicea القريبة التي تقع على أحد روافد نهر الماندر التي وصلوها في الثالث من يناير عام 1148م، وبعد ذلك واصل لويس قواته السير منها إلى أضاليا Adalia وفي الطريق رأوا جثث الألمان ملقاه وكان هناك جماعات من السلاجقة يراقبون تحركات لويس وقواته، لذلك قام لويس بتنظيم قواته لإدراكه بأن المعركة قادمة مع السلاجقة، فأوكل لويس قيادة المقدمة إلى جيفري دي رانكون Geoffery de Rancon وأماديوس الثاني Amudius كونت مورين بينما تولى لويس بنفسه قيادة المؤخرة عندما وصلت القوات الصليبية إلى أحد الجبال المرتفعة أصدر لويس أوامره إلى جيفري وأماديوس بأن يتقدما قوات المقدمة ويعسكرا على قمة ذلك الجبل ثم يقوم لويس بالعبور مع بقية قواته، لكن جيفري لم يلتزم بأوامر الملك فعندما وصل جيفري إلى قمة الجبل رأى أن المسافة التي قطعها في ذلك اليوم ليست طويلة[4]، وأخبر رجاله بأن هناك مكانا أفضل من قمة الجبل يمكن أن يعسكروا فيه، لذلك ترك القمة ونزل إلى السفح المقابل حتى يعسكروا فيه، وفي نفس الوقت لم يكن لويس وقواته على علم بالتغيرات التي أحدثها جيفري[5].

ذكر البعض أن إليانور كانت وراء عدم التزام جيفري وقواته بأوامر لويس خاصة وأنها وجيفري كانا أصدقاء قدامى وقد قضت إليانور هي ولويس ليلة زفافهما في قلعة جيفري دي رانكون ويرجع سبب تأييدها لقراره إلى عدم إيمانها بقدرة لويس العسكرية[6].

استغل السلاجقة الفرصة وقاموا باحتلال قمة الجبل، وأخذوا يوجهون السهام على القوات الصليبية التي كانت تتحرك نحو القمة للحاق بالمقدمة مما أدى إلى قتل وأسر العديد من القوات الصليبية

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص371-372، وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص282.

(2) Choniates, Ocity of Byzantium, PP. 39 – 41.

(3) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص282.
Choniates, Ocity of Byzantium, P. 41.

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص373-376، وليام المصوري: الحروب الصلبية، ص282-283، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص314.
Meade, Eleanor, PP. 98 – 99, Kelly, Eleanor, PP. 49 – 50, Alison, Eleanor, P. 61.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص373-376، وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص282-283، رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص314.
Meade, Eleanor, PP. 98 – 99, Kelly, Eleanor, PP. 49 – 50, Alison, Eleanor, P. 61.

(6) Meade, Eleanor, P. 99, Kelly, Eleanor, PP. 49 – 50.

وخيولهم[1] بينما هرب بعضهم وتمكنوا من اللحاق بالمقدمة بصعوبة بسبب أمتعة إليانور الثقيلة التي منعت الحرس الخلفي من التصدي لهجمات السلاجقة وعاقت تقدمهم على سفح الجبل[2].

أما لويس وحرسه فقد قاتلوا بشجاعة وتمكن لويس من الهرب بعد أن فقد حرسه، وتسلق بعض الأشجار إلى أن وصل إلى قمة صخرة كبيرة وظل يقاتل السلاجقة حتى المساء، لكن السلاجقة تركوه ولم يلحقوا به لأنهم لم يعرفوا أنه الملك لويس، ولرغبتهم في جمع الغنائم[3].

بعد نجاح لويس في الهروب ولحاقه بقواته بعد انتهاء المعركة تحركت القوات الصليبية تحت قيادته متجهة إلى أضاليا وخلال سير القوات الصليبية إلى هناك تعرضوا لهجمات السلاجقة إضافة إلى ما كانوا يعانون منه من الجوع والإرهاق.

وصل الصليبيون إلى أضاليا في العشرين من يناير عام 1148م وبوصولهم إليها كانت أمامهم فرصة للراحة والاستجمام[4].

كان أمام لويس طريقان إلى الشام، إما طريق البحر إلى السويدية Saint Simeon وأنطاكية، وإما طريق البر بحذاء الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى إلى قيليقية Colcaille وأنطاكية.

اجتمع لويس مع بارونات ته لاستشارتهم في اختيار الطريق الذي سوف يسلكوه فاختار البارونات الطريق الساحلي لبعده عن خطر السلاجقة ولأنه يستغرق ثلاثة أيام للوصول إلى أنطاكية بعكس الطريق البري الذي سيستغرق أربعين يوما إضافة إلى إمكانية تعرضهم للهجمات السلجوقية[5].

بعد أن تم اختيار الطريق الساحلي لاستكمال الرحلة إلى أنطاكية، بقى أمام القوات الصليبية مشكلة عدم توفر السفن اللازمة لنقلهم إلى شاطئ الشام حيث عاب الملك لويس وقواته من عدم توفرها وبعد انتظار طويل لم يحصل الصليبيون إلا على عدد قليل منها لم يكف لنقل كل القوات الصليبية، لذلك أبحر لويس وحاشيته وعدد من القوات الصليبية وترك الباقين في أضاليا، يعانون من سوء معاملة البيزنطيين وهجمات السلاجقة حتى تم نقلهم على دفعات إلى الشام[6].

رحيل القوات الفرنسية إلى أنطاكية :

(1) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص

(2) Michaud, Histoire des Crousade, Tom, P. 392, Alison, Eleanor, PP. 61 – 62, Kelly, Eleanor, P. 50.

(3) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص377-381، Meade, Eleanor, P. 100, Kelly, Eleanor, P. 50.

(4) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص381-385، وليم المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص286-287، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص627,
Meade, Eleanor, P. 101, Alison, Eleanor, P. 62, Kelly, Eleanor, P. 50, Perry, the seconde, P. 500.

(5) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص385-389،
Meade, Eleanor, P. 101, Kelly, Eleanor, P. 62, Alison, Eleanor, P. 50, Michaud, Histoire des Crousades, Tom 1, P. 393.

(6) أودو أوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ص392-393،
Michaud, Histoire des Crousade, Tom 1, P. 394, Meade, Eleanor, PP. 101 – 102, Kelly, Eleanor, PP. 50 – 51.

غادرت القوات الفرنسية مدينة أضاليا في طريقها إلى أنطاكية فوصلوا إلى ميناء السويدية في التاسع عشر من مارس عام 1147م/542هـ[1] بعد رحلة بحرية استغرقت حوالي ثلاثة أسابيع[2].

عندما علم الأمير ريموند دي بواتييه Raymond de Poitiers حاكم أنطاكية وعم إليانور بوصول الملك لويس وزوجته وقواته إلى أنطاكية شعر بسعادة بالغة ولم ينتظر في قصره حتى يأتوا إليه بل أسرع مع حاشيته ومعظم سكان المدينة إلى الميناء ليكون في شرف استقبالهم[3].

قضت إليانور عشرة أيام فقط في أنطاكية، لكن تلك الأيام أثرت على تاريخ أوروبا في السنوات الثلاثمائة التالية.

عندما وصلت إليانور إلى أنطاكية كان يغلب عليها التعب والإرهاق نتيجة لما تعرضت له من تعب خلال رحلة سيرها في آسيا الصغرى، تلك الرحلة التي أثرت على قوتها الجسدية وجعلتها ضعيفة شاحبة لكنها بعد وصولها أنطاكية واستمتاعها بجمال جوها وطبيعة أرضها حيث غطت شقائق النعمان سفوح التلال فالمدينة كانت عبارة عن حديقة غناء، أرض خضراء، بساتين ومخازن للغلال.

إن جمال المدينة جعلها تتذكر بوردو، وبواتييه، وانتابها حنين لوطنها ومما زاد من جمال المدينة أكثر وجعلها تبدو مثل وطنها أن اللغة الرسمية التي كانت سائدة فيها هي لغة أكوتين، كما أن الفرسان والكهنة الذين كانوا في خدمة ريموند كانوا أصلا من بواتييه وكان معظمهم جيرانا وأصدقاء لها منذ طفولته. أما ريموند فكان صورة حقيقية لفارس أحلامها فكان وسيما شجاعا فهو يجمع بين صفات الفروسية والجمال، تلك الصفات التي كانت إليانور تتمنى أن تجدها في زوجها لويس لكنها صدمت في ذلك. لقد رأت إليانور أن عمها ريموند صورة طبق الأصل لجدها وليام الشاعر المتجول فكان يمتلك جاذبية وسحرا كبيرا بالإضافة إلى لطفه وكياسته التي ميزت تصرفاته دائما.

بعد وصول إليانور إلى أنطاكية حاول عمها ريموند أن يخرجها من حالة الضعف والاكتئاب التي انتابتها مما تعرضت له طوال الرحلة لذلك أمدها بخزانة جديدة من الملابس الحريرية المخاطة بشكل رائع كما قام بتنظيم حفلات شارك فيها الشعراء الجائلون[4]، منشدون وراقصات عرب كما وفر لها ما تحتاجه من نبيذ وخمور، كل ذلك عمل على إنعاش روح إليانور وارتفاع معنوياتها هي وجميع رفيقاتها لذلك نجدها قد غرقت في حياة الصخب واللهو التي يسرها لها عمها مما أدى إلى ظهور ميول عاطفية تجاهه وبادلها هو نفس المشاعر. انتشرت أخبار هذه العلاقة والعاطفة المحرمة بصورة كبيرة ولاحظ الناس، لكن حاولوا أن ينظروا إليها على أنها علاقة طبيعية بحكم القرابة بينهما ورغم ذلك فبعض الفرنسيين المشاركين في الحملة وخاصة أعداء إليانور والذين لاموها كثيرا بعد هزيمتهم السابقة، والذين أرجعوها ذلك إلى ثقل أمتعتها فهؤلاء ساد الشك لديهم في سلوك ريموند مع إليانور وفي اهتمامه الزائد بها ولكنهم لم يمتلكوا دليلا خاصة وأن أحاديث إليانور مع عمها كانت كلها بلهجتهم المحلية مما جعل هؤلاء الفرنسيين لا يفهمون ما يحدث بينهما[5].

(1) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص288.
(2) Meade, Eleanor, P. 103, Dismond, Eleanor, P. 84.
(3) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص288، Meade, Eleanor, P. 103.
(4) Meade, Eleanor, P. 103, Alison, Eleanor, PP. 64 – 65, Dismond, Eleanor, P. 49.
(5) Meade, Eleanor, P.104, Alison, Eleanor, PP. 64 – 65.

يبدو أن ريموند كان يعمل على توثيق علاقته بإليانور وكسب ودها حتى يمكنه من خلالها الحصول على مساعدة لويس له، خاصة وأن ريموند كما ذكرنا قبل ذلك[1] قد أرسل إلى الملك لويس قبل ذلك يطلب منه أن يساعده في الحرب ضد نور الدين محمود، والذي كان يخطط للاستيلاء على أنطاكية لذلك شعر بسعادة كبيرة بعد وصول القوات الفرنسية إلى أنطاكية وأخذ يبني آمالا كبيرة عليها ومن ثم فقد أظهر اهتماما كبيرا بالملك وقواته وكان اهتمامه الأكبر بإليانور التي اعتقد أن بتدخلها وتأثيرها على زوجها يمكنه الحصول على مساعدة الجيش الفرنسي في حصار حلب وحماة وسيزر والاستيلاء عليهم[2].

أعلن ريموند للملك لويس عن رغبته في أن يساعده في القيام بحملة ضد حلب والاستيلاء عليها والقضاء على قوة نور الدين[3]، وأوضح له أن نور الدين هو الخطر الحقيقي والفعلي الذي يهدد الإمارات الصليبية وأن هدفه هو الاستيلاء على أنطاكية بعد أن استولى على إمارة الرها[4].

في الحقيقة فإن نور الدين كان ينوي من البداية تنفيذ الخطة التي وضعها والده عماد الدين زنكي وهي توحيد الجبهة الإسلامية وطرد الصليبيين والاستيلاء على إماراتهم كان استرداده لإمارة الرها إنذارا خطيرا للصليبيين[5].

حاول ريموند مرارا وتكرارا إقناع الملك لويس وقواته ليشاركوه في القيام بحملة مشتركة ضد حلب وذكر لهم أن ذلك يمكن تحقيقه دون صعوبة وأن الاستيلاء على حلب سيعود بالفائدة على كل الإمارات الصليبية ويرفع مكانة الملك لويس[6].

بدت خطة ريموند معقولة إلى حد كبير بالنسبة لإليانور فقد كان المسلمون بزعامة نور الدين إذا نجحوا في اجتياح شمال الشام واستولوا على أنطاكية فستسقط الأرض المقدسة، ولن يمنعهم شئ من الزحف والاستيلاء على مملكة بيت المقدس[7].

إذا كانت مخاوف ريموند وتوقعاته المستقبلية بدت واضحة ومعقولة لإليانور فكان الأمر بالنسبة لزوجها لويس مختلفا فقد رفض خطة ريموند وذكر له بأنه ما حمل الصليب إلا للقيام بالحج إلى كنيسة القيامة حيث قبر السيد المسيح وللدفاع عن القدس وأنه ليس لديه النية للقيام بأي حملة إلا بعد أداء الحج وزيارة قبر السيد المسيح وبعدها يمكنه أن يشارك ريموند في حملته على حلب[8].

استاءت إليانور كثيرا من رفض زوجها لخطة عمها ريموند دي بواتييه وذلك لأنها تعلم أن استعادة الرها كان هو الهدف الأساسي للحملة الصليبية ولم تصدق أن زوجها قاد آلاف الصليبيين في رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر لمجرد الحج والصلاة عند قبر المسيح ورأت أن زوجها يتصرف بشكل غير منطقي ورغم ذلك كبحت غضبها وداعبته مثل الطفل

(1) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص289. Meade, Eleanor, P. 105.
(2) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص289،
Meade, Eleanor, P. 105, Alison, Eleanor, P. 64.
(3) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص289.
(4) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص628.
(5) Grouset, op. cit, P. 247.
(6) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص289.
(7) Meade, Eleanor, P. 106, Kelly, Eleanor, P. 55.
(8) وليام الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص289.
Meade, Eleanor, P. 106.

واعتمدت على ريموند لإعادته إلى صوابه وعندما أدرك الملك لويس تدعيم إليانور لخطة عمها وعلاقتها الوطيدة به أصر على رفضه وشاركه رأيه جميع باروناته[1].

يرجع رفض لويس لخطة ريموند إلى عدائه له فعندما وصل لويس إلى أنطاكية وجد الصليبيين في أنطاكية يتصرفون مثل المسلمين في الشام حيث قلدوهم في ارتداء الملابس الفخمة وأطالوا لحاهم ولبسوا العمائم، ومما زاد غضبه وخوفه أنهم تزوجوا من أهل البلاد، ومما زاد من فزعه أن أطفالهم سيصبحوا مهجنين "بولاني" Poullani.

وإلى جانب استياء لويس لما رآه في أنطاكية من تناغم واختلاط بين المسلمين والصليبيين فإن عداءه لريموند كان بسبب العلاقة التي تمت بينه وبين إليانور وإصرارها على مساعدة عمها مما أثار غيرة لويس الذي أخذ يشك بأن إليانور اتخذت عمها عشيقا لها[2].

عندما فشل ريموند في إقناع لويس ورأى إصراره على الرفض بدأ في إظهار عداوته وراح يدبر ضده مكائد ومؤامرات، فقرر أن يحرض زوجته ضده[3] حيث حرضها على أن تترك زوجها ووافقت إليانور على ذلك.

كانت إليانور على استعداد ولها مبررات جعلتها تقدم على ترك زوجها، ففي رأيها، أن الظروف هي التي سهلت لها الجلوس على العرش، وهذا العرش لم يجلب لها سوى الحزن، والزواج جعلها زوجة لملك لكن هذا الملك يماثل الراهب أكثر منه الإنسان العادي[4].

وإذا كان لويس زوجا مخلصا لها لكنه لم يهتم بمشاعر إليانور أو احتياجاتها العاطفية مما جعلها تنفر منه ولا ترغب في الحياة مع زوج بارد عاطفيا، ومنذ بداية الحملة بدت حماقة لويس وفشله كقائد عسكري والذي كان واضحا للجميع، كل ذلك جعل موقف إليانور في الموافقة على ترك زوجها أمرا طبيعيا لأي امرأة في القرن الثاني عشر كان لديها كل هذه المشاعر السلبية ناحية زوجها.

وإذا قارنا حالتها بغيرها من الملكات المعاصرات اللاتي كن يعانين من حياتهن الزوجية فهؤلاء كن راضيات بما هن فيه ولم يكن لديهن الجرأة على طلب الطلاق من أزواجهن ربما لأن الشهرة جعلتهم يشعرون بأنهن أفضل حالا من غيرهن من النساء أو لأن أزواجهن كانوا من علية القوم من السادة الكبار وكان قرار الطلاق عادة ما يكون في يد الزوج فقط فإذا طلق السيد زوجته فكان عليها أن تعود إلى قلعة أبيها أو إلى الدير في ذل وانكسار، ولم يكن ذلك يتماشى مع شخصية إليانور[5] ولذلك نجدها بعد رفض لويس مساعدة عمها ريموند في حملته على حلب تقرر البقاء في أنطاكية بجانب عمها ريموند كما واجهت في هذا الوقت لويس بطلبها الطلاق، وكان ذلك في نهاية شهر مارس فأخبرتها بأنها لن تتوجه معه إلى القدس وإنما ستبقى في أنطاكية[6] وستقوم بإدارة أمور دوقيتها أثناء وجودها بها وذلك بعد طلاقها منه كما أنها هددته بأنها سوف تسحب أتباعها من أهل أكوتين من الحملة الصليبية.

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 106 – 107, Kelly, Eleanor, PP. 55 – 58.
(2) Meade, Eleanor, P., Kelly, Eleanor, PP. 55 – 58.
(3) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص289.
(4) Meade, Eleanor, P. 108, Kelly, Eleanor, P. 58.
(5) Meade, Eleanor, PP. 107 – 108.
(6) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص289-290.
Meade, Eleanor, P. 108, Kelly, Eleanor, P. 60, Ffiona, Eleanor, P. 37.

أصاب قرار إليانور وطلبها الطلاق الملك لويس بالصدمة فعلى الرغم من الإشارات والمقدمات التي وضحت من قبل ولا يمكن لأي شخص أن ينكرها والتي اتضحت في أحاديثها المستمرة والمنفردة مع عمها ريموند رغم ذلك فإن قرار إليانور بالبقاء في أنطاكية وطلبها الطلاق قوى شكوك لويس في علاقة إليانور المحرمة بعمها.

وعلى الرغم من شدة غضب لويس وثورته عندما تأكد من حب إليانور لعمها إلا أنه ظل يحبها ويحتاج إليها.

عندما رفض لويس طلب زوجته للطلاق واعترض على تجاوزها، بررت إليانور طلبها بأن زواجها لم يكن شرعيا وذلك لأنهما أقارب من الدرجة الرابعة أو الخامسة ومن ثم فإن كلا منهما لا يحل للآخر وأكدت إليانور بأن الله غاضب عليهما بسبب زواجهما الباطل والدليل على ذلك أنها لم تنجب خلال خمسة أعوام سوى طفلة واحدة.

كان لاستناد إليانور في طلبها للطلاق على مبدأ ديني أن انتابت لويس مشاعر داخلية من القلق والحيرة فلم يكن يستطيع التنازل عن الممتلكات الواسعة الخاصة بزوجته كما لا يستطيع المساس بالمسائل الشرعية والبقاء مع إليانور وهي محرمة عليه لذلك قرر أنه سيوافق على الطلاق بعد أن يأخذ رأي مستشاريه ونبلائه.

استشار لويس أصدقائه الحميمين وهما اود اوف دويل Odo of deuil الذي كان عالما بالتفاصيل الدقيقة للمشكلة، لكنه لم يرغب في نشر هذه الأخبار المخزية وقرر إنهاء تدوينه لأحداث الحملة الصليبية بمغادرة الجيش الفرنسي لمدينة أضاليا ولم يذكر أي معلومات عن الشجار الملكي[1].

أما الشخص الآخر الذي طلب لويس نصيحته فكان سكرتيره الخاص تيرى غاليران Therry Galeran ذلك الشخص الذي كانت تكرهه إليانور بشدة حتى أنها سخرت منه أثناء وجودها في أنطاكية وأمام أصدقائه، وبذلك حانت الفرصة له للانتقام منها حيث عمل على ترويج الشائعات في كل مكان حول وجود علاقة غير شرعية بين إليانور وعمها ريموند دي بواتييه.

إن علاقة إليانور بعمها ريموند كانت محور الحديث بين الصليبيين في أنطاكية ، كما انتشرت العديد من الشائعات هناك عنها مما جعل العديد من المؤرخين يستهجنون ويحتقرون تصرفات إليانور تجاه عمها[2].

اتهم المؤرخ وليام الصوري William of Tyre إليانور بالرعونة والطيش "وأنها امرأة غير متدينة نهجت نهجا لا يليق بمكانتها كملكة، فلم تراع التزاماتها الزوجية ولم تخلص لزوجها"[3].

كذلك كتب حنا السالسبوري John of Salisbury في عام 1160م عن سلوكها في أنطاكية قائلا بأنها كانت تطلب الفتوى في صحة زواجها من لويس على أساس أنهما أقارب من الدرجة المحرمة وكان ذلك لرغبتها في البقاء مع عمها ريموند (انظر الوثيقة رقم 1)[4] كما أكد

(1) Meade, Eleanor, PP. 108 – 109, Kelly, Eleanor, P. 61, Andrea, Most wise, P. 44.
(2) Meade, Eleanor, P. 109.
(3) وليام الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص290.
(4) The Historia pontificalis of John of Salisbury, Edited and Translated by Marjorie Chibnall – Oxford: Clarendon Press, 1986, 1986, PP. 52 – 53.

ريتشارد Richard of Devizes في كتابه عن علاقة إليانور المحرمة بعمها ريموند حاكم أنطاكية (انظر الوثيقة رقم 2)[1].

كما كتب مؤرخ آخر في القرن الثالث عشر فوصف إليانور بأنها امرأة شريرة جدا[2].

أثارت علاقة إليانور بعمها العديد من الأساطير حولها فمن تلك الأساطير تلك التي تتعلق بعلاقتها الغرامية بالقائد المسلم الكبير صلاح الدين الأيوبي، وأوجب تلك الأسطورة رواية تفصيلية عن هذه العلاقة فتقول بأن إليانور كانت متأثرة للغاية بكرم صلاح الدين وبالشائعات التي وصلت إليها حول جماله الفائق وآدابه مما جعلها تراسله ووجد هو بدوره السحر في خطاباتها وسمع من رسله الأخبار التي تصفها وتصف مظهرها الأنيق حتى وقع في حبها وبادلته الحب عن طريق رسول بينهما، وعندما اقترح صلاح الدين بعد فترة خطفها والزواج منها رحبت إليانور بالفكرة للهروب من زوجها الراهب ووضعت إليانور وصلاح الدين خطتهما للهرب، وكان من المفترض أن يأتي صلاح الدين إليها ليلا ليأخذها ويركبا سفينة من سفنه ويبحر بعيدا عن صور Tyre قبل أن يعلم لويس بأمرها ونجحت خطتهما تقريبا وتركت إليانور القصر بالفعل مع عشيقها صلاح الدين لكن عندما لاحظت إحدى خادماتها ما يحدث ذهبت إلى لويس وأخبرته بالأمر[3] فانطلق خلف زوجته الهاربة وأمسك بها بينما كانت تطأ السفينة لتوها وأعادها إلى فراشه الكريه، وعندما سألها عن سبب محاولتها للهرب أجابته بسبب تفاهتك وسوء سلوكك فأنت عندي لا تساوي حبه كمثرى عفنة، وأنا سمعت كثيرا عن صلاح الدين وأحبه أفضل منك.

ورغم أن تلك القصة بعيدة عن العقل والمنطق وهي من خيال المؤلفين إلا أنها تكررت عند أكثر من مؤرخ وأصبحت وثيقة الارتباط باسم إليانور. ومما يدل على أن تلك القصة أسطورية هو أن صلاح الدين عام 1148م كان لا يزال طفلا في الثانية عشرة من عمره وبعيد عن السلطة والسياسة والحرب ومن غير المعقول أن يكون ذلك الطفل في عمره هذا قد أشعل عاطفة ملتهبة لهذه الدرجة في صدر الملكة أو أنه حاول سرقتها أو الهروب معها[4].

بالرغم من أن بعض المؤرخين استهجن تصرفات إليانور تجاه عمها فالبعض الآخر انتابته الحيرة حول تفسير سبب تعلق إليانور بعمها ريموند فيذكر المؤرخ رينيه جروسيه أن إليانور كانت أنيقة وغير متزنة، كما كانت تعاني من زوجها، ثم تساءل هل وجدت في عمها الذي ما زال شابا مزدانا بسحر الشرق عشيقا أكثر رقة ولذلك دافعت عن سياسة أنطاكية بحماس[5].

إذا أردنا تفسير تلك العلاقة الوطيدة التي تمت بين إليانور وعمها نجد أنها قد رأت فيه نسخة أخرى من جدها ووالدها من حيث صفات الرجولة والفروسية إضافة إلى تشابههم جميعا في الشكل والمظهر.

(1) The Chronicle of Richard of Devizes of the time of king Richard the first, Edited by John Apple by London: Thomas Nelson and sons ltd, 1963, PP. 23 – 26.
(2) Meade, Eleanor, P. 110.
(3) Frank Mcminn Chambers:
Some Legends concerning Eleanor of Aquitaine speculum, Vol., 16, No, 4 (oct, 1941) P. 460, Meade, Eleanor, P.110, Alison, Eleanor, P. 65.
محمد مؤنس عوض: صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، ط1، القاهرة، 2008، ص303-304.
(4) Frank, Meminn, speculum, Vol., 16, No, 4, P. 460, Meade, Eleanor, P.110, Alison, Eleanor, P. 65.
(5) Histoire des croisades et du Royame France de Jerusalem Tom, 2, P. 249.

أضف إلى ذلك أن فقدان إليانور لوالدها وهي لا تزال طفلة جعلها ترتمي بلهفة في أحضان عمها الذي كان يشبه والدها كثيرا والذي كانت إليانور تعتبره أخا أكبر لها وليس عمها، كل تلك الأسباب تبرر تعلق إليانور به. أما عن وجود علاقة محرمة فهذا أمر غير منطقي في هذه الفترة الزمنية وغيرها، فوجود علاقة بين العم وابنة أخيه ترفضه الشرائع السماوية ويعتبر زنا كما أن نكاح المحارم كان أمرا محرما، حتى في أكوتين المتحررة وبالنسبة لشخصية ريموند فإن قيامه بإغواء ابنة أخيه فهذا شئ بعيد عن العقل والمنطق خاصة وأنه كان مخلصا لزوجته ولم يكن معروفا عنه إقامة علاقات رومانسية ومن ثم فإن إغوائه لإليانور اتهام مرفوض[1].

على أية حال فإن الثرثرة الزائدة عن العلاقة بين إليانور وعمها أزعجت لويس كثيرا فقد تكررت الإشاعات وانتشرت على نحو واسع، وما حدث بعد ذلك أكد عليها[2].

ففي 28 مارس عام 1148م/543هـ بدأ لويس تجهيز قواته بشكل سري استعدادا للرحيل وفي منتصف الليل غادر لويس والجيش الفرنسي أنطاكية بدون أن يستأذنوا الأمير ريموند في الرحيل وقد أخذ الملك لويس زوجته إليانور بالقوة وأجبرها على التوجه معه إلى القدس[3]، ولا شك أن تصرف لويس هذا تجاه إليانور كان دليلا كافيا للفرنسيين الذين تأكدوا من صدق الإشاعات المتعلقة بها واعتقدوا أن ملكتهم الأسيرة لابد وأنها قد اقترفت ذنبا لا يغتفر[4].

غادر الملك لويس وقواته أنطاكية متوجهين إلى القدس حيث وصلوا أولا إلى طرابلس ومنها إلى بيت المقدس التي وصلوها في أبريل عام 1148م/543هـ كان في استقبالهم الملكة ميلسند وابنها بلدوين الثالث ورجال الدين وكل أهالي المدينة الذين أحاطوا بالملك وزوجته وأظهروا لهما الاحترام والتوقير وزفوهم بالأهازيج وتلاوة التراتيل الدينية، وبعد انتهاء الملك من صلاته صحبوه إلى مقر إقامته ثم تركوه[5].

بعد إجبار لويس إليانور على الرحيل معه إلى القدس كان لديها عدة اختيارات وهي إما أن ترتب للهرب وتهرب عائدة إلى ريموند في أنطاكية أو تحاول إقناع لويس وتؤثر عليه حتى يوافق على طلاقها بدون تدخل من مستشاريه، وفي كل الأحوال لابد وأن تنتظر حتى تعود إلى باريس قبل أن ترفع قضية طلاقها إلى الأب برنارد أو البابا كما أن لويس لن يستطيع أن يبقي عليها بدون رغبتها.

لقد تأكدت إليانور بأنها سوف تجد طريقها للعودة إن لم يكن إلى أنطاكية فيكون إلى بواتييه، حيث يمكنها أن تستفيد من تجربتها في الحملة الصليبية إلى أقصى درجة.

كانت هذه الاختيارات تدور في عقل إليانور لكنها في النهاية فضلت الانتظار وحاولت أن تصر على هذا التأخير في تحقيق أهدافها حتى تعود إلى فرنسا، في تلك الأثناء وبرغم الغضب المتبادل بين إليانور ولويس إلا أنهما أخفياه بأفضل ما يمكن لهم وبصورة خاصة في المناسبات

(1) Meade, Eleanor, P. 110
Jaye Puckett, The Literary influence of Eleanor of Aquitaine in the Long Twelfth centuries.
A dissertation submitted to Johns Hoplins University degree of Doctor of Philosophy. September 2006, P. 13.

(2) Meade, Eleanor, P. 111, Alison, Eleanor, P. 67.

(3) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص630.

(4) Jaye Puckett, The Literary influence, P. 13.

(5) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص293-294.
Meade, Eleanor, P. 113, Alison, Eleanor, P. 68.

الهامة حيث أدوا أدوارهم كما لو كانوا لا يزالوا أزواجا مخلصين متوادين[1]، لكن وبرغم ذلك فقد خضعت إليانور لرقابة شديدة من جانب لويس الذي رأى أن أي محاولة لمنع انتقالها بحرية حول المدينة كان يمكن أن يقلل من كرامته الملكية وسوف يؤدي إلى ثورة أتباعها الذين غضبوا بشدة بسبب معاملة لويس السيئة لها ومن ثم فإن لويس لم يمنعها من الانتقال في المدينة وبصورة محدودة كما وضعها تحت رقابة صارمة[2].

فشل الحملة الصليبية ورحيلها عن الأراضي المقدسة :

بعد وصول الملك لويس وقواته إلى بيت المقدس ثم عقد اجتماع في الرابع والعشرين من يونيو 1148م[3] وذلك لمناقشة الخطة التي سوف يسير عليه الصليبيون من أجل توسيع مملكة بيت المقدس[4] وقد حضر الاجتماع كلا من الإمبراطور كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا الذي كان قد وصل هو وقواته إلى بيت المقدس قبل وصول الملك لويس السابع بفترة قصيرة.

كما حضر الاجتماع الملكة ميلسند وابنها الملك بلدوين الثالث وعدد من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين في الشرق والغرب[5] ولم تحضر الملكة إليانور ذلك الاجتماع ربما بسبب خلافها مع لويس أو أنها أصلا لم يتم دعوتها للحضور[6].

ولم يحضر الاجتماع ممثلون ينوبون عن إمارة الرها وأنطاكية وطرابلس وهي الإمارات التي كانت مهددة تهديدا مباشرا بخطر نور الدين محمود، وبعد مناقشات ومداولات طويلة تقرر في هذا الاجتماع مهاجمة دمشق[7]. وبذلك انحرفت الحملة الصليبية الثانية عن هدفها الأساسي الذي أتت من أجله إلى الشرق وهو القضاء على الزنكيين واسترداد الرها واتجهت لمساعدة مملكة بيت المقدس[8].

وفي الحقيقة فإن قرار الصليبيين بمهاجمة دمشق كان قرارا خاطئا وذلك لأن دمشق بقيادة حاكمها معين الدين أنر[9] كانت الحليف الوحيد للصليبيين بين أمراء المسلمين

---

(1) Meade, Eleanor, P.P. 112 – 113.
(2) Meade, Eleanor, P. 114
(3) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص631.
(4) وليام المصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص307-308.
(5) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص631.
(6) Meade, Eleanor, P. 114.
(7) Grousset, Histoire, Tom, 2, P. 255.
(8) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص630.
(9) معين الدين أنر: هو معين الدين بن عبد الله الطغتكيني، كان أحد مماليك طغتكين في العهد السلجوقي ثم أصبح مدبر حفيده محمود بن بوري طغتكين، هب لمقاومة حصار الصليبيين لدمشق عام 1148م ودافع عنها بالدهاء والقتال، وهو الذي أنشأ المدرسة المعينية الحنفية بحصن الثقفين غربي المسجد الأموي (في منطقة الحديقة اليوم) عام 1130م (524هـ) ، وإليه ينسب قصر معين ببلاد الغور من أعمال دمشق. تزوجت ابنته عصمت الدين خاتون من نور الدين محمود وبعد وفاته من صلاح الدين الأيوبي.
توفي أنر في ليلة 29 أغسطس عام 1149م (23 ربيع الآخر 544هـ) ودفن بإيوان الدار التي كان يسكنها ثم نقل إلى المدرسة التي عمرها، ومنها إلى قبة بمقابر العونية شمالي دار البطيخ (أي بجوار المدرسة الشامية البرانية في حي سوق ساروجا). انظر:
ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (حيدر آباد، 1951م)، ج8، ص203، قتيبة الشهابي: صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، ص249.

بالشام[1].

تقدمت القوات الصليبية بقيادة الإمبراطور كونراد الثالث والملك لويس السابع لمحاصرة دمشق وكان ذلك يوم السبت الموافق الخامس والعشرين من شهر يوليو عام 1148م/543هـ واستمر حصارهم أربعة أيام لكن انتهت محاولتهم بالفشل الذريع[2] وذلك لأن معين الدين أنر حاكم مدينة دمشق عندما علم بقدوم القوات الصليبية وتأكد من قصدهم في الاستيلاء عليها بادر بإرسال الرسل إلى نوابه في المدن والقلاع التابعة لدمشق، كما أرسل أيضا يستنجد بنور الدين محمود في حلب، ويطلب منه النجدة وهكذا تدفقت النجدات على دمشق مما جعل الصليبيين يتحولون في موقفهم من الهجوم على دمشق إلى الدفاع عن أنفسهم[3]، هذا بالإضافة إلى انقسام الصليبيين على أنفسهم، أثناء حصارهم لدمشق حيث طمع كل منهم بالفوز بالغنيمة بمفرده فبينما أراد أمراء بيت المقدس أن تصبح دمشق بعد الاستيلاء عليها تابعة لمملكة بيت المقدس، أراد البعض الآخر من الصليبيين بزعامة لويس السابع أن يقيموا في دمشق بعد الاستيلاء عليها إمارة صليبية جديدة مستقلة عن بيت المقدس، وبسبب الخلاف على مستقبل دمشق[4]. قام أمراء بيت المقدس بالاتصال بمعين الدين أنر وحصلوا منه على مبلغ من المال نظير رحيل الصليبيين عن دمشق، ومن ثم فقد أشار أمراء بيت المقدس على قادة الصليبيين بنقل المعسكر من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية حتى يكون الهجوم على المسلمين أصعب وأشد ضراوة[5]. على أية حال فقد رفع الصليبيون الحصار عن مدينة دمشق فجر يوم الأربعاء الموافق الثامن والعشرين من يوليو عام 1148م الموافق 10 ربيع الأول 543هـ عندما علم المسلمون برحيلهم قاموا بملاحقتهم، وقتلوا الكثير من الرجال والخيول[6].

بعد فشل الحملة الصليبية في الاستيلاء على دمشق عاد رجالها إلى بيت المقدس حيث تبادل الصليبيون الاتهامات وكان كل منهم يدين الآخر ويحمله مسئولية فشل الحملة الصليبية، أما إليانور فلم يكن جديدا عليها هزائم لويس فكانت معتادة على فشله في أي مشروع يقوم به، وقد شعرت بالخزي والعار بسبب الانسحاب المخزي وفشلهم في إسقاط دمشق وهذا الانسحاب يعني فشل الحملة الصليبية مما أدى إلى زيادة حزنها وقلقها على مستقبلها المجهول[7].

لم يبق الصليبيون في بيت المقدس مدة طويلة، فقد أبحر كونراد ورجاله في 8 سبتمبر عام 1148م من عكا إلى أوروبا على متن سفينة بيزنطية[8] أما لويس فقد مكث ستة أشهر في بيت المقدس بعد رحيل كونراد وذلك للاحتفال بعيد الفصح في القدس[9]، أما إليانور فكانت غاضبة بسبب تأجيل لويس للرحيل، فكانت ترغب في العودة ومغادرة الأراضي المقدسة لتبعد عن زوجها الذي تكرهه والذي كان سبب حزنها وكآبتها[10].

---

(1) Grousset, Histoire de crusades, Tom. 2, O. 255.
(2) Meade, Eleanor, PP. 68 – 69.
(3) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص633.
(4) وليام الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص318-319، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص633.
(5) Grousset, Histoire, Tom 2, PP. 263 – 264.
(6) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 1983م، ص465-466.
(7) Meade, Eleanor, P. 117, Alison, Eleanor, P. 69.
(8) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص635.
(9) وليام الصوري: الحروب الصليبية، ج3، ص321.
* لمزيد من المعلومات عن الحملة الصليبية الثانية انظر عبد السلام محمد زيدان: الحملة الصليبية الثانية ، رسالة ماجستير غير منشودة بكلية الآداب جامعة حلب بسورية 2000م/1421هـ.
(10) Meade, Eleanor, P. 118, Alison, Eleanor, P. 69.

مما سبق يتبين لنا النتائج التي ترتبت على سقوط إمارة الرها في يد عماد الدين زنكي سنة 1144م مما أصاب الغرب الأوروبي بالفزع وأدى إلى قيام الحملة الصليبية الثانية وتعرفنا على الدور الذي لعبته إليانور في الإعداد لتلك الحملة ومشاركتها فيها مما أضاف عبئا على القوات الصليبية نتيجة لكثرة الأمتعة والخزائن التي حملتها إليانور معها ثم زيارتها للقسطنطينية وانبهارها بما رأته فيها من كنائس، كذلك اتضح لنا النتائج التي ترتبت على علاقة إليانور بعمها ريموند دي بواتييه حاكم أنطاكية مما أدى إلى ازدياد التوتر بينها وبين زوجها الملك لويس الذي رفض مساعدة الأمير ريموند في الاستيلاء على حلب بعد سماعه عن علاقته الغير شرعية بزوجته مما أغضب إليانور وجعلها تطلب الطلاق من زوجها لرغبتها في البقاء بجانب عمها ريموند حاكم أنطاكية، كما تبين لنا النتائج التي ترتبت على فشل الحملة الصليبية والتي كان من أهمها ازدياد كراهية إليانور لزوجها الملك لويس واحتقارها له بسبب ضعفه وفشله كقائد عسكري.